ماذا تعرف عن

زوجات الأنبياء؟

حازم عوض

الكتاب: ماذا تعرف عن زوجات الأنبياء؟

الكاتب: حازم عوض

الطبعة: ٢٠١٧

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف: ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس: ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

عوض، حازم

ماذا تعرف عن زوجات الأنبياء؟ / حازم عوض

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

الترقيم الدولي: ٠ – ٣٤٦ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨

.. ص،.. سم.

أ – العنوان ٢٢٩.   رقم الإيداع: ٢٠١٧/٣٩٠٥

ماذا تعرف عن

زوجات الأنبياء؟





مقدمة

تفتقر المكتبة الإسلامية إلى مشروع جليل يلقي الضوء على الزوجات الطاهرات للأنبياء والمرسلين، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر بعضهن وألمح للبعض الآخر، كي نأخذ من سيرتهن العظة والعبر ولتتعلم المرأة المسلمة منهن ما يمكنها من تطبيق المحددات التي تضمن لها السعادة في الدنيا والآخرة.

وفي سبيل تقديم القدوة الحسنة في أسلوب مبسط سهل الفهم لا يستعصي على القارئ أعلنا الفكر في استخلاص قصص زوجات الأنبياء، وأوردناها حسب الترتيب الزمني مستعينين بالقصص القرآني والتفاسير والسيرة النبوية العطرة لنوجه تلك العلاقة الحميمية بين القارئ وسيرة الزوجات الطاهرات.. فنتعلم منهن الصبر على الشدائد والقدرة على التحمل والشكر على الابتلاء وطاعة الزوج ومرضاة الله تعالى والابتعاد عن نواهيه والائتمار بأمره والقرب من الله بالصلاة والذكر والتسابيح ونتأسى بسيرتهن العطرة نبراسا وهدى للعاملين.

المؤلف

السيدة حواء أم العالمين

كان سيدنا آدم، عليه السلام، الأب الأول للخلق جميعًا يعيش وحده بين أشجار الجنة وظلالها، فأراد الله أن يؤنس وحشته، ولا يتركه وحيدًا، فخلق له من نفسه امرأة تقر بها عينه ويفرح بها قلبه وتسكن إليها نفسه وتصبح له زوجة يأنس بها، فكانت حواء هدية الله إلى أبي البشر آدم – عليه السلام– وأسكنهما الله الجنة، وأباحها لهما يتمتعان بكل ما فيها من ثمار، إلا شجرة واحدة أمرهما ألا يأكلا منها حيث قال تعالى: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ" (البقرة:٣٥).

وعاشت حواء مع آدم بين أشجار الجنة يأكلان مما فيها من فواكه كثيرة وخيرات متعددة، وظلا على عهدهما مع اللَّه لم يقربا الشجرة التي حرمها عليهما، لكن إبليس اللعين لم يهدأ له بال، وكيف يهدأ بالُه وهو الذي توعد آدم وبنيه بالغواية والفتنة؟ وكيف تستريح نفسه وهو يرى آدم وحواء يتمتعان في الجنة؟ فتربص بهما وفكر في طريقة تخرجهما من ذلك النعيم، فأخذ يدبر لهما حيلة ليعصيا اللَّه، ويأكلا من الشجرة فيحل عليهما العقاب.

ووجد إبليس الفرصة فقد هداه تفكيره الخبيث لأن يزين لآدم وحواء الأكل من الشجرة التي حرمها الله عليهما، لقد اهتدى لموطن الضعف عند الإنسان، وهو رغبته في البقاء والخلود قال تعالى: {وَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١)} (الأعراف:٢٠، ٢١)، وهكذا زين لهما الشيطان الأكل من الشجرة، وأقسم لهما

أنه لهما ناصح أمين، وما إن أكلا من الشجرة حتى بدت لهما عوراتهما، فأسرعا إلى أشجار الجنة يأخذان منها بعض الأوراق ويستتران بها، ثم جاء عتاب اللَّه لهما، وتذكيرهما بالعهد الذي قطعاه معه سبحانه وتعالي: {فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يخْصِفانِ عَلَيهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِين} (الأعراف:٢٢).

فعرف آدم وحواء أن الشيطان خدعهما وكذب عليهما فندما على ما كان منهما في حق اللَّه سبحانه، ولكن ماذا يصنعان؟ وكيف يصلحان ما أفسد الشيطان؟ وهنا تنزلت كلمات اللَّه على آدم، ليتوب عليه وعلي زوجه {فّتّلّقَّى آدّمٍ مٌن رَّبٌهٌ كّلٌمّاتُ فّتّابّ عّلّيهٌ} (البقرة:٣٧)، وكانت تلك الكلمات في قوله سبحانه: {رّبَّنّا ظّلّمًنّا أّنفٍسّنّا وإن لَّمً تّغًفٌرً لّنّا وتّرًحّمًنّا لّنّكٍونّنَّ مٌنّ الخّاسٌرٌينّ (٢٣)} (الأعراف:٢٣).

وبعد ذلك أهبطهما ربهما إلى الأرض، وأهبط معهما الشيطان وأعوانه، ومخلوقات أخرى كثيرة قال تعالى: { فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} (البقرة:٣٦)، وهكذا بدأت الحياة على الأرض، وبدأت معركة الإنسان مع الشيطان، وقدر اللَّه لآدم وحواء أن يعمرا الأرض، وتنتشر ذريتهما في أرجائها ثم نزلت لهم الرسالات السماوية التي تدعو إلى التقوي قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)} (النساء:١). وظلت حواء مطيعة لله تعالى حتى جاء أجلها.

"والغة" زوجة "نوحٍ" عليه السلام:
ولغت عن الإيمان في الكفر

زوجة "نوح" عليه السلام، ولغت عن الإيمان في الكفر واستغرقت..! وخانت دعوة زوجها، وخالفت فكانت مثلاً للكافرين.. فأغرت في الطوفان ثم أدخلت نار الجحيم { مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا} (نوح:٢٥).

يقول الله تعالى في سورة التحريم: { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ } (التحريم:١٠).

مرت عقود وقرون بين "آدم" و"نوح" – عليهما السلام –كانت البشرية فيها على منهج الله تعالى في التوحيد وعمارة الأرض والقيام بحق الطاعة والعبادة.

ثم ظهر في قوم "نوح" عليه السلام "بني راسب" أشخاص كانوا نماذج عليا وأمثلة يحتذى بها في التدين والتواصل مع الله تعالى، فأحبوهم واقتدوا بهم وسلكوا مسلكهم واتخذوهم قدوة فلما حان حينهم وأزف موعد رحيلهم عن الدنيا واختارهم الله تعالى إلى جواره، حزن القوم عليهم غاية الحزن وأسفوا لفراقهم، وحرصوا على بقاء ذكرهم فيهم، وهنا.. بين الحب والحزن كان مدخل "إبليس" إلى نفوسهم، فوسوس لهم أن يتخذوا لهؤلاء الأحبة نصباً وتماثيل كي لا يغيبوا عن أعينهم وأنظارهم، ويظلوا في وجداناتهم أحياء غير أموات.

ففعلوا ونحتوا.. وظهرت لأول مرة في تاريخ البشرية والإنسانية التماثيل..

تماثيل "ود" و"سواع" و"يغوث" و"يعوق" و"نسر"، على أسماء أولئك الصالحين وأقاموها في الأماكن التي كان يجلس فيها أولئك الصالحون.

وظلوا على ذلك ردحاً من الزمن في تقديس وتعظيم لم يبلغا إلى حد العبادة.. ثم إن "إبليس" اتخذ من هوس هذا الحب مدخلاً إلى النفوس فوسوس لهم أن يجعلوا نماذج لهذه التماثيل في بيوتهم، فأطاعوه.. فكانوا أول من كفر وأشرك وعبد الطاغوت، وتمادوا في ذلك وأمعنوا.

فلما انتشر الفساد وعم البلاد بعبادة الأصنام، بعث الله عبده ورسوله "نوحاً" عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهى عن عبادة الأصنام والتماثيل والطواغيت..! وينذرهم بعذاب الله في الدنيا والآخرة إن هم أصروا واستكبروا.

قال تعالى: "إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٣) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٤) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ" (نوح: ١-٤).

لبث "نوح" – عليه السلام– في قومه يدعوهم إلى الهدى ألف سنة إلا خمسين عاماً.

ما أطولها مدة.. وما أقساها قلوب وما أصبره عليهم!!

ما ترك – عليه السلام– من حجة إلا قالها، وما ترك من وسيلة إلا اتبعها، سراً وعلانية ليلاً ونهاراً ولكنهم كانوا في نجوة عن الإيمان وفرار من الحق، وبعد عن الهدي..

اتبعه نفر قليل من المستضعفين الفقراء، وخاصمه الكبراء والأغنياء وذوو السلطان، وكان هؤلاء يزدادون ويكثرون ويزدادون طغياناً وإثماً ونفوراً!!

يقول "نوح" عليه السلام: { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا } (نوح:٥ – ١٠) .

هزأوا به وبدعوته، وسخروا منه وممن اتبعه.. واتهموه بالكذب والافتراء وقالوا: { فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} (هود:٢٧)، وتنادوا بينهم: "وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) (نوح:٢٣).

وكانت زوجته والغة من فئة الأغنياء وشريحة أصحاب السلطان والنفوذ، وقد تزوجها قبل أن يختاره الله تعالى رسولاً ونبياً ولدت منه أولاده "ساما" و"حاما" و"يافثا" وابنة قيل اسمها "عابر".

فلما حمل – عليه السلام– أمانة الرسالة جنحت والغة إلى الفئة الضالة، فكانت في بيته ترقب كل ما يجد، ثم تنقل ذلك إلى قومها، فيعرفون لها صنيعهاً، وتلك هي الخيانة وأي خيانة أعظم من إفشاء أسرار البيوت، بل أي خيانة أعظم وأكبر من الحيدة عن الحق والهدي إلى الباطل والضلال؟

واستمرت على ذلك فزادها الله تعالى ضلالاً وأغفل قلبها عن ذكره باتباع هواها، "ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون" (الصافات:٧٥)، { قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ(١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (الشعراء:١١٧، ١١٨).

{ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠)} (القمر:١٠).

{وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧)} (نوح:٢٦، ٢٧).

بعد أن قام "نوح" – عليه السلام– بأعباء الرسالة خير قيام، ودعا قومه إلى الهدى، الحق، وصبر عليهم رحمة بهم، وأوذي فتحمل.. ولما لم يجد منهم قلوباً واعية وآذاناً صاغية، وإنه كلما دعاهم ازدادوا جموحاً ونفوراً، وأنهم إن تركوا من غير عقاب ثم تناسلوا لم يلدوا إلا ذرية أسوأ منهم وأشد نكراناً وكفوراً! عندئذ دعا ربه أن يفتح بينه وبين القوم الظالمين، وأن يمحو أثرهم ويطهر الأرض من جسهم، فاستجاب له ربه، وأوحي إليه بصنع سفينة تكون له ولمن اتبعه وسيلة النجاة..

النجاة من طوفان يعم الأرض كلها..!

السماء تمطر بغزارة.. والأنهار تتدفق.. والينابيع تتفجر.. والبحار تموج بموج كالجبال..! أما السفينة التي تحمله – عليه السلام– ومن معه من المؤمنين وقد حشر فيها من الحيوانات والطيور من كل زوجين اثنين، فإنها سيكون { وقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا } (هود:٤١).

وبدأ "نوح" – عليه السلام– بصنع السفينة، وقد أرشد إلى ذلك..!

زرع الأشجار، وعندما نضجت وبسقت قطعها ثم جففها، ونشرها ألواحاً.. ثم بدأ بجمعها، وكانت امرأته – والغة تسخر من صنعه، وتظنه قد تم جنوناً.

وكذلك قومه المعاندون المكابرون { وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩)} (هود:٣٨، ٣٩).

فلما فار التنور بالماء من أسفله، وانطفأت ناره.. كانت علامة بدء الطوفان! وكانت حبال المطر تهطل ولا تنقطع، والأرض تتفجر عيوناً وينابيع، والماء لا يتسرب إلى باطن الأرض بل يعلو ويعلو.. ويغطي ويطغى.. عندها دخل "نوح" – عليه السلام– ومن معه من المؤمنين القلائل وبعض أهله ولديه "حام" و"يافث" وكنائنه السفينة، وقد حشر فيها من الحيوان والطير من كل زوجين اثنين.

{ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مغرقون(٢٧)} (المؤمنون:٢٧).

وكانت "والغة" امرأته ممن سبق عليه القول.. أبت أن تدخل السفينة، وآثرت البقاء مع قومها الذين أغرقوا فأدخلوا ناراً!! وكذلك ولده "سام" الذي ظن أنه ناج إذ اعتلى جبلاً..!

ولقد حن إليه "نوح" – عليه السلام– ودعاه إليه فقال: { يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢)} (هود:٤٢)، لكن الولد غرته نفسه وأغواه شيطانه فقال: { قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣)} (هود:٤٣).

وظلت السفينة { وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ } (هود:٤٢). أياماً وليالي.. ودعا "نوح" –عليه السلام– ربه فقال: { وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ } (المؤمنون:٢٩٢) فاستجاب له.. {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (هود:٤٤)

انحبس ماء السماء، وغاص ماء الأرض في شرايينها إلى جوفها، واستقرت السفينة على قمة جبل الجودي. ثم هبط "نوح" عليه السلام ومن معه.. وأخذت الحياة دورة جديدة وبدأت رحلة البشرية الثانية.

بلقيس ملكة سبأ صاحبة الحكمة

هي زوجة نبي الله سليمان عليه السلام، كانت تعبد الشمس هي وقومها، ثم أكرمها الله تعالى بالإيمان، فآمن قومها برسالة نبي الله سليمان عليه السلام، فتزوجها وأنجبتْ له ولدًا، إلا أنه توفي شابًّا إنها بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان، ملكة سبأ التي تمكنت من الملك بعد مقتل عمرو ذي الأذعار فبايعها قومها وولوها الحكم، فأدارت شئون البلاد بشجاعة وحكمة، ورممت سد مأرب الشهير، وشيدت قصرها في مدينة مأرب، وازدهرت على يديها التجارة والزراعة، وزادت ثروات البلاد واستقرت أحوال الناس.

استيقظتْ من نومها والظلام يحيط بكل شيء لتستعدَّ للذهاب مع حاشيتها إلى معبد الشمس الكبير بأرض مأرب على بُعْدِ ثلاثة أميال من صنعاء حيث يستقبل شعب سبأ يومًا من الأيام المقدسة التي تشهد نشاطًا كبيرا فيقدمون قرابينهم للشمس التي يعبدونها من دون اللَّه وما إن أشرقت الشمس حتى اخترق نداء الكاهن آذان أهل سبأ يأمرهم بالسجود لها وفي الوقت الذي كان يسجد فيه أهل سبأ للشمس، كان نبي اللَّه سليمان عليه السلام وجنوده يسجدون للَّه رب العالمين اعترافًا بحقه – عز وجل– وقد وهب اللَّه لسليمان ملكًا عظيمًا، وكوَّن سليمان جيشًا كبيرًا، من الإنس والجن والطير، وجعل لكل واحد في الجيش مكانًا ومهمةً عليه أن ينفذها، واعتاد "سليمان" عليه السلام أن يتفقد جنوده حينًا بعد آخر، وذات مرة لم يجد الهدهد، فقال: { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠)} (النمل:٢٠، ٢١).

جاء الهدهد بعد أن مكث فترة من الزمن، فقال لسليمان عليه السلام: إنه ذهب إلى سبأ ورأى قوم يعبدون الشمس من دون الله، ثم أخذ الهدهد يصف ما رأى وما سمع وكيف يعبدون الشمس من دون اللَّه ففكر نبي اللَّه ثم قال: { قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧)} (النمل:٢٧)، وكتب نبي اللَّه عليه السلام رسالة وأمر الهدهد بالذهاب إلى ملكة سبأ وأن يعطيها الرسالة، فقال له: { اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) } (النمل:٢٨).

خطاب سليمان

وبينما كانت بلقيس تستريح من عناء يوم طويل في فراشها، دخل عليها الهدهد من النافذة، وألقى عليها الكتاب، فقرأته وعلمت مافيه، وأنه من نبي اللَّه سليمان – عليه الصلاة والسلام – فجمعت وزراءها وأعيان قومها وقرأت عليهم خطاب سليمان، وقالت: { قَالَتْ يا أَيُّهَا الْمَلأُ إني أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ* إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* أَلاَّ تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١)} (النمل:٢٩–٣١)، ثم طلبت منهم الرأي والمشورة { قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) } (النمل:٣٢)، وهي في ذلك تعطي صورة طيبة للشورى عند الحاكم. فأجابها القوم { قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣)} (النمل:٣٣)، لكن بلقيس كانت تعلم قوة سليمان، فأرادت أن تصرف قومها عن الحرب، وأن تردهم إلى الرشاد، { قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤)} (النمل:٣٤)، كان يدور في ذهن بلقيس أمر سليمان، ولم تكن تعلم أن الله سخَّر له الريح تجري بأمره، فقالت بحكمة بالغة: إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥)} (النمل:٣٥)، وأخبرتهم أنه إن كان ملكًا

قبل الهدية وانصرف، وإن كان نبيا فلن يقبل الهدية، ولن يرضى منا إلا أن نتبعه على دينه ووافق القوم على ذلك وانصرفوا. فلما جاءت رُسل بلقيس بالهدية إلى سليمان، قال لهم: { لَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) } (النمل:٣٧)، وأدرك سليمان بحكمته أن إنذاره هذا سينهي الأمر، وستُقبل عليه الملكة مستسلمة طائعة لأنه ظهر من تصرفاتها أنها لا تريد الحرب، وعندما عادوا إليها أخبروها بما حدث، فأرسلت إلى سليمان تخبره أنها سوف تأتي إليه ومعها كبار قومها.

أمرت بلقيس جنودها بحراسة عرشها والحفاظ عليه وإغلاق الأبواب دونه، وخرجت من مُلْكها متجهة ناحية الشمال، وقبيل حضورها، أراد سليمان أن يبين لها قدرة اللَّه وعظمته، وكيف أعطاه ما لم يعط أحدًا من العالمين فأقبل على جنوده قائلا: { قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ } (النمل:٣٨، ٣٩)، لكن سليمان استبطأه، فقام رجل مؤمن من بني إسرائيل، وكان صدِّيقًا يعلم اسم الله الأعظم، فقال لسليمان: { أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يرْتَدَّ إِلَيكَ طَرْفُكَ} (النمل: ٤٠)، وبالفعل كان عرش بلقيس أمام نبي اللَّه سليمان فخر ساجدًا لعظمة اللَّه واعترافًا بنعمته، وقال: { هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} (النمل: ٤٠).

إيمانها

رأت بلقيس مُلكَ سليمان، وبينما قومها يتهامسون فيما بينهم على ما يروَنه، رأت عرشها بعد أن أمر سليمان جنوده أن يغيروا معالمه، وأن يبدلوا أوضاعه بحيث تختلف فيه الرؤية ليعرف مدى ذكائها { قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ } (النمل: ٤١، ٤٢).

فلما دخلت بلقيس الصرح الذي أمر نبي اللَّه سليمان جنوده ببنائه من الزجاج، بحيث يجري من تحته جدول صغير من الماء حسبته ماء فكشفت عن ساقيها بحركة لاشعورية منها، قال تعالى{ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)} (النمل: ٤٤)، وهكذا كانت بلقيس ملكة سبأ امرأة ذات فراسة وحكمة وذكاء فلم تستبد برأيها في الأمور العظيمة والخطوب الجليلة، بل استشارت قومها، وهذا يدل على فطنتها فلما عرفت الحق آمنت به وأسلمت للَّه طوعًا مع سليمان عليه السلام، وتوفيت بلقيس، رضي الله، عنها في أنطاكية بعد وفاة ابنها من سيدنا سليمان بقليل.

زوجات داود عليه السلام

- "ميكال بنت طالوت" الزوجة الأولى.. ابنة ملك "بني إسرائيل".
- أرملة القائد أوريا الزوجة الثانية للنبي "داود" عليه السلام .
- أما السراري فقد قيل إنهن بلغن مائة سرية .. !

ينتهي نسب سيدنا داود عليه السلام إلى يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبرهيم عليهم السلام، وهو أول من جمعت له النبوة والملك في "بني إسرائيل". يروي المؤرخون أن "داود" عليه السلام، وهو غلام في الثالثة عشرة من عمره خرج يرعى أغنام أبيه، ويرقب أخوته الذين خرجوا في جيش "طالوت" الملك لقتال عدوهم "جالوت" وجنده!

فلما تراءى الجمعان، وظهر للعيان كثرة جند "جالوت".. قال أكثر أصحاب "طالوت": "لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده".. لكن { قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} (البقرة:٢٤٩).

وبرز "جالوت" إلى الميدان يصول ويجول ويدعو إلى القتال، فما جرؤ أحد من جند "طالوت" على منازلته وقتاله، فتقدم "داود" عليه السلام، وقال لـ "طالوت": أنا أنازله وأقتله.. فاستقله "طالوت" وسخر منه..، فأصر "داود" وألح في الطلب، فسمح له "طالوت" مكرها!!

وكان "داود" بحكم عمله في رعاية الغنم يرمي بالمقلاع ولا يخطئ إصابة الهدف، وكان يحمل في محلاته القذائف: خمسة أحجار ملس – انتقاها من الوادي الذي كان يرعى فيه. فلما برز لـ"جالوت" هزأ به "جالوت" وقال له: ارجع فإني أكره أن أقتلك..!

فأجابه "داود": ولكني أحب أن أقتلك..!

ثم جعل الأحجار في المقلاع وأداره في الهواء بقوة فسمع له صوت كأنه الريح الصافرة، ثم أطلقها فأصابت "جالوت" في جبهته، وانفلقت رأسه.. وسقط قتيلا، وانهزم جيشه وفر جنده، وانتصرت القلة المؤمنة على الكثرة المشركة الباغية .

وأراد "طالوت" أن يكرم "داود" فزوجه من ابنته الوحيدة "ميكال" وقربه منه وأدناه، وأجرى حكمه في ملكه، وكانت الفتاة تقية صالحة، ثم زوجة وفية بارة، فأخلصت لـ"داود" وأحبته، وعاشت معه في سعادة وهناء.

عظم أمر "داود" ومال إليه "بنو إسرائيل" فضعف سلطان "طالوت" عليهم وأحس بأن ملكه يكاد يزول فحقد على "داود" وأراد الخلاص منه، ودبر لذلك أكثر من مؤامرة..!!

لكن "ميكال" كانت تقف إلى جانب زوجها "داود" تنبهه وتحذره، وكذلك كان يفعل أخوها "يوناثان" الذي أحب "داود" حباً فائقاً ولازمه، وكان معه مثل ظله لا يفارقه.

واضطر "داود" أن يخرج إلى الجبال والوديان، ويلجأ إلى الكهوف والمغارات هرباً من بطش "طالوت".. والتحق به نفر من أصحابه وأتباعه.

في تلك البيئة الصافية النقية وبعيداً عن تضارب المصالح الدنيوية.. تعلق قلب "داود" عليه السلام بالله تعالى فآتاه النبوة، وأنزل عليه المزامير.. وسخر له الجبال والطير يسبحن معه، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب.. وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنه.

{ اذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وفصل الخطاب(٢٠)} (ص:١٧-٢٠).

فازداد إقبال "داود" عليه السلام على ربه.. بالطاعة والعبادة فكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه "للصلاة والتسبيح" وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفر من الحرب.

وازداد إكرام الله تعالى له فألان له الحديد { وألنا له الحديد (١٠) أن اعمل سابغات وقدر في السرد } (سبأ: ١٠، ١١). يعمل منه الدروع.. وقد يسره الله تعالى له فكان في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير إحماء ولا طرق.

وحاول "طالوت" أكثر من مرة أن يوقع بـ"داود".. فكان يخرج إليه بجنده وسلطانه، حيث يقيم بين الجبال والوديان والكهوف، ولكنه لم يفلح.. وعلى العكس من ذلك فقد وقع "طالوت" بين يدي "داود" وتيسر له قتله وهو نائم – مرتين – ثم عفا عنه!

ولقد زاد هذا من حسد "طالوت" له وحقده عليه!

وكانت "ميكال" بنت "طالوت" وزوجة "داود" خير ناصحة لزوجها، وعينا يقظة له ترقب الأحداث والتحركات وتبلغه بها عن طريق أخيها "يوناثان"، ولم

يطل الأمر.. فقد خرج "طالوت" لقتال الفلسطينيين.. فأوقعوا به وهزموه وقتل في تلك المعركة، وقدر لـ"داود" عليه السلام أن يكون له الكرة عليهم، والانتصار.. والتف الناس حوله، ثم ملكوه بدلاً من "طالوت" ملكاً على بيت "يهوذا" في "حبرون" الخليل، وهذه أول نبوة يجتمع إليها الملك من عهد آدم عليه السلام. { فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ } (البقرة:١٥٢)، ولم يقدر لـ"داود" عليه السلام أن يكون له ولد من "ميكال" زوجته..!

وفي قصة زواج "داود" عليه السلام من أرملة القائد "أوريا"، فـ"التوراة" تحكي قصة غريبة عجيبة، وتلفق وتشوه.. وهذا شأن "التوراة" مع أكثر أنبياء الله تعالى.

"التوراة" تتناقض مع نفسها حين تشهد لـ"داود" عليه السلام بالغيرة الشديدة على أهله والبر والتقوى وطهارة اليد ثم تتهمه بتدبير حيلة للخلاص من القائد "أوريا" للوصول إلى زوجته، والغيرة من الشهامة والألفة.. وتتوج ذلك النبوة.. فكيف تسفل به نفسه إلى الحيلة الدنيئة؟!

تقول "التوراة" بأن "داود" عليه السلام "نظر وهو يمشي على سطح داره إلى امرأة تستحم فأعجبته وأغرم بها، وأتى بها واضطجع معها فحملت منه وأعلمته، وكان زوجها "أوريا" الحتى في الحرب.

فأتي به ليسأله عن أمر الحرب في الظاهر، وليحدث الرجل بامرأته عهداً حتى لا يرتاب بأمرها إذا علم فيما بعد أنها حامل، ولكن الرجل كان تعباً جداً، فنام بباب "داود" ولم يزر امرأته لأنه من عدم التقوى أن يتمتع بزوجته وإخوانه في الحرب بعيدون عن أزواجهم.

فلما علم "داود" بأمره، لم ير وسيلة لعدم افتضاح أمره إلا تعريض "أوريا" لجبهة القتال حاملاً الراية، وأن يتفرق عنه الجند بعد التقدم، وبهذه الوسيلة قتل الرجل، وأتت امرأته بولد في تلك الزنية.. وتزوجها "داود"، ثم مرض الولد فحزن "داود" لمرضه حزناً شديداً حتى لا يقدر أحد على تسرية همه، ثم مات الولد– ومن هذه المرأة كان "سليمان" تلكم هي قصة "التوراة" عن زواج "داود" عليه السلام بأرملة "أوريا" وولادة "سليمان" عليه السلام ابنها، ويكفي سردها دون التعليق عليها..!

فقد نرد قولاً واحداً: لم لا يكون زواج "داود" عليه السلام من الأرملة الحزين نوعاً من جبر الخاطر.. كما كان يفعل صحابة سيدنا رسول الله!! والشواهد كثيرة لا حصر لها.

ولد لـ"داود" "سليمان" عليهما السلام وشب وكبر..! وكان في فتوته بضعة من أبيه الذي أوتي الحكمة وفصل الخطاب يروون: "أن حرثاً – زرعا – أو كرماً تدلت عناقيده، نفشت فيه غنم لغير أهله، أي أكلته ليلاً. فجاء المتحاكمون إلى "داود" وعنده "سليمان"، فحكم "داود" بالغنم لصحاب الجرن عوضاً عن حرثه، الذي أتلفته الغنم، برعيها إياه ليلاً فقال "سليمان" وكان ابن إحدى عشرة سنة: غير هذا أرفق يا أبي، تأمر بدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها، والجرن إلى أهل الغنم يقومون عليه حتى يعود كما كان، ثم يترادان.. {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتينا حُكمَاً وعِلمَاً} (الأنبياء:٧٨، ٧٩).

وأخد "داود" برأي "سليمان" عليهما السلام وحكمه وأمضاه..

ويحدثنا أبو هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله عن وفاة داود، عليه السلام، قال: كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة، فكان إذا خرج أغلق الأبواب، فلم يدخل أحد على أهله حتى يرجع فخرج ذات يوم وأغلق الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا برجل وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة؟ والله لنفضحن بـ"داود".

فجاء "داود" فإذا بالرجل في وسط الدار.

قال له "داود": من أنت؟

فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمتنع مني الحجاب، فقال "داود" أنت والله إذن ملك الموت.. مرحباً بأمر الله.. ثم مكث حتى قبضت روحه، فلما غسل وكفن وفرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس فقال "سليمان" عليه السلام للطير: أظلي على "داود" فأظلت عليهم الطير حتى أظلمت عليهم الأرض، فقال "سليمان" للطير: اقبضي جناحاً".

قال "أبو هريرة" فطفق رسول الله يرينا كيف فعلت الطير، وقبض رسول الله بيده، وغلبت عليه يومئذ المضرحية. في مراجعة تاريخية لحياة "داود" عليه السلام وقفت على الآتي:

وأبناء "داود" هم: "أمنون" أنجبه من امرأة اسمها "أضينوعم" اليزرعلية.

"دانيال" من امرأة اسمها "أبيجابل" الكرميلة.

"أبشلوم" من "مقلة" بنت "تلماي" ملك جشور.

"أودنياة" من "حجيت".

"شفطباة" من "أبيطال".

"يثرعام" من امرأته المسماه "عجلة".

وهؤلاء الستة ولدوا له في "حبرون" – مدينة الخليل – قبل جلوسه على العرش في "أورشليم" التي ولد له فيها: "شمعا" "شويا" "ناتان" "سليمان" أنجبهم من "بتشوع بنت عميئيل".

ومن غير هذه الزوجة ولد له أيضاً أبناء ذكوراً هم:

"كبجار" اليشامع" "أليفالط" "نوجه" "نافج" "يافيع" "اليشاماع" الثاني "إلياداع" "إلينلاط" الثاني.

وفي أورشليم أيضاً ولدت له ابنته "تامارا".

ويحتاط الراوية إن كان هؤلاء المذكورين هم أبناؤه من الزوجات فقط، وأنه لم يذكر أبناءه من "غيرهن".

امرأة سيدنا أيوب

الصبر على الشدائد صفة المؤمن الصادق الإيمان، فالابتلاء اختبار لعمق الإيمان ولصلة الإنسان بربه ولمدى قدرته على التحمل، كما أنه تطهر من الانفعالات المدمرة وتطهير للنفس من الرغبات الهابطة، إنه اختبار للمعدن الحقيقي، وهذا الابتلاء اختبار وامتحان من الله وهو يختبر عباده الصالحين، فما بال الأنبياء المرسلين وزوجات الأنبياء المرسلين؟

ولقد نجح سيدنا "أيوب" في الاختبار حين أصابه الضر في ماله وولده وصحته فكشف الله عنه الضرر ونجحت امرأته في الصبر على البلاء، فأكرمهما الله بعد أن شهد لهما تاريخهما بوفائها وصبرها وصلاحها وصدقها.

وكانت من قدوات النساء في جمال الإخلاص وطاعة الزوج والائتمار بأمره، وقد كان أيوب عليه السلام أحد أغنياء الأنبياء.

وكانت "ليا" زوجة "أيوب" عليه السلام براً نقياً رحيماً تحسن إلى المساكين وتكفل الأيتام والأرامل وتكرم الضيف شاكرة لنعم ا لله عليها مؤدية حق الله عز وجل، وكان لأيوب عليه السلام أولاد وأهلون كثير، وكانت زوجته التي ترفل في النعيم تكثر الحمد والشكر والثناء على الله عز وجل، إذ رزقها من البنين والبنات ما تقر به عيناً ووسع عليها وعلى زوجها من الرزق، ولكنها بعد ذلك خضعت لامتحان رباني واجهها هي وزوجها، فنجحت في هذا الامتحان بتوفيق من الله وبرهنت على صدقها مع الله سبحانه وتعالى، ووفائها لزوجها الذي أثنى عليه ربه أجمل ثناء وخصه بفضيلة الصبر التي تجعل صاحبها من الذين يدخلون الجنة

بغير حساب جزاء من الله الذي وعد الصابرين بالخير والنعيم فقد قال الله تعالى: "إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ".

عاشت وزوجها محنة امتدت قرابة ثمان عشرة سنة فكانت مثال المرأة البارزة، ومثال الزوجة الصابرة الراضية بقضاء الله فقد اختبر "أيوب" في ماله فافتقره، وفي عياله فثكل وفي جسمه فمرض مرضاً شديداً قربه من الهلاك وصرف الناس عنه، ولكنه صبر على هذا الابتلاء حامداً شاكراً وفي ذلك يقول المولي عز وجل: "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ".

فقد قال النبي الحبيب: "يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه"، هذا بالنسبة "لأيوب" عليه السلام أما زوجته فصبرها يثير الإعجاب أكثر، لأنها أولا امرأة يجب أن تعال وينفق عليها ويدير زوجها أمرها وشأنها وحياتها ويرعاها زوجها الذي اختبر فيما سبق بفقد المال والعيال والصحة وهي إلى جانب الاختبار الأول كان الاختبار الثاني والأكبر وهو الصبر على ما سبق وتحمل المسئولية الكاملة في صفاء نية وإيمان قوي وحمد لا حدود له لربها.

إن سيدنا "أيوب" كان اختباره في صبره على بلاء الله بعد نعمه الكثيرة الحامد لها طول حياته والشاكر لربه بعد المحنة.

ويغاير أيوب بقية الأنبياء والرسل فعبادته لربه هي شكره وحمده له، وهذه دعوته بعد أن أعطاه ربه كل المال والحياة والصحة والعيال والسعادة.

لكن من رحمة ربه به أن أعطاه مع كل هذا "أهله" امرأته الشاكرة لنعم ربها والحامدة على مصابها من ضياع المال، وفقد الأبناء جميعا ومرض الزوج ونفور

المجتمع منهما أو حتى من مواساتهما هنا جاء الاختبار الثاني لهما فكيف تتصرف والزوج مقعد لا يعمل وليس هناك مورد للرزق والحياة إلا أن تعمل؟!

إذن أباح الله سبحانه وتعالى للمرأة أن تعمل وتكفل وتنفق على زوجها وبيتها في حالة عجزه عن ذلك.

وكانت الأقاويل والأحاديث كثيرة في مرض أيوب كانت أكثر بالنسبة لزوجته ومعاملته لها ومعاملتها له وخروجها للكسب وعقابه لها، على ما لم يرض ربه وجاء من تلك الحادثة الرحمة الثانية للزوجة، حين تغيبت مرة عنه بعد أن أشارت إليه أن يطلب الشفاء من الله وبسبب غيابها غضب وأقسم ليضربنها بقوة مائة سوط وفي ذلك يقول القرآن الكريم: "اذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ".

زوجة صابرة أخلصت لزوجها، ووقفت إلى جواره في محنته حين نزل به البلاء، واشتد به المرض الذي طال سنين عديدة، ولم تُظْهِر تأفُّفًا أو ضجرًا، بل كانت متماسكة طائعة، حيث كانت نعم الزوجة الصابرة المعينة لزوجها، فأظهرت له من الحنان ما وسع قلبها، واعتنت به ما استطاعت إلى ذلك سبيلا. لم تشتكِ من هموم آلامه، ولا من مخاوف فراقه وموته. وظلت راضية حامدة صابرةً مؤمنةً، تعمل بعزم وقوة؛ لتطعمه وتقوم على أمره، وقاست من إيذاء الناس ما قاست.

ومع أن الشيطان كان يوسوس لها دائمًا بقوله: لماذا يفعل اللّه هذا بأيوب، ولم يرتكب ذنبًا أو خطيئة؟ فكانت تدفع عنها وساوس الشيطان وتطلب من الله

أن يعينها، وظلت في خدمة زوجها أيام المرض سبع سنين، حتى طلبت منه أن يدعو اللَّه بالشفاء، فقال لها: كم مكثت في الرخاء؟ فقالت: ثمانين. فسألها: كم لبثتُ في البلاء؟ فأجابت: سبع سنين.

قال: أستحي أن أطلب من اللَّه رفع بلائي، وما قضيتُ منِه مدة رخائي. ثم أقسم أيوب – حينما شعر بوسوسة الشيطان لها – أن يضربها مائة سوط، إذا شفاه اللَّه، ثم دعا أيوب ربه أن يكفيه بأس الشيطان، ويرفع ما فيه من نصب وعذاب، قال تعالى: { وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١)} (ص:٤١). فلما رأى اللَّه صبره البالغ، رد عليه عافيته؛ حيث أمره أن يضرب برجله، فتفجر له نبع ماء، فشرب منه واغتسل، فصح جسمه وصلح بدنه، وذهب عنه المرض، قال تعالى: { وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣)} (ص:٤١-٤٣).

ومن رحمة اللَّه بهذه الزوجة الصابرة الرحيمة أَن أَمَرَ اللَّهُ أيوبَ أن يأخذ حزمة بها مائة عود من القش، ويضربها بها ضربةً خفيفةً رقيقةً مرة واحدة؛ ليبرّ قسمه، جزاء له ولزوجه على صبرهما على ابتلاء اللَّه { وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)} (ص:٤٤).

وعادت الزوجة المخلصة بعد تدبيرها لقوتها هي وزوجها فرأته قد تمتع بنعمة الله الكبرى الصحة، وشفي من علته وهداه ربه أن يأخذ أعواد ريحان تبلغ المائة فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة، ويكون هذا في منزلة الضرب بمائة سوط ويبر بقسمه ولا يحنث.

هذا من إكرام الله لزوجة "أيوب" – عليه السلام– إنه رخص لعبده ورسوله رخصة يستخدمها مع زوجته العابدة الطاهرة إكراماً لها من الله تعالى فقد رحمها وأكرمها لصبرها مع زوجها على البلاء، فكانت زوجة أيوب مثالاً مشرفاً للنساء وسيدة الصابرات وقدوة الشاكرات وكان إخلاصها ووفاؤها لزوجها في السراء والضراء واقتحامها ميدان العمل لتكسب القوت لها ولزوجها بعد أن تخلت عن مباهج الحياة الثلاثة المال والبنون والصحة من أروع المثل في التضحية والنبل والأخلاق الكريمة.



سارة زوج إبراهيم عليه السلام

أعلى الإسلام من المرأة وكرمها وأنصفها بما لها من الحقوق وما عليها من الواجبات، وأوصى الرجل بها بوصفها شقيقته في المعتقدات والعبادات والمعاملات، وتربية وصنع الأجيال وتعمير الأرض واستمرار الحياة.

ذكر الله في كتابه الكريم نساء كثيرات وحدثنا عنهن سبحانه تعالى في مراحل عدة وفي هذه الرواية، نتناول بعون الله كل النساء اللاتي جاء ذكرهن في القرآن الكريم: { قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢)} (هود:٧٢)

إنها السيدة "سارة بنت هاران" زوج سيدنا إبراهيم عليه السلام التي جاء ذكرها في القرآن الكريم أكثر من مرة، تكريما لها ولسيرتها العظيمة التي تشهد لها بالصبر الجميل، وحسن التبعل لزوجها سيدنا إبراهيم عليه السلام.

والسيدة سارة هي أول امرأة آمنت بسيدنا إبراهيم وشهدت معجزة الله القديرة له عندما نجاه الله سبحانه وتعالى من كيد قومه، ومكرهم بقدرته من النار وجعلها بردا وسلاما عليه، فكانت سارة هي أول المؤمنات بالله من بعد إبراهيم في بلده التي أكثر أهله من الشرك وعبادة الكواكب والأصنام، فقرر إبراهيم وزوجه سارة أن يهاجرا إلى فلسطين ثم منها ارتحلا إلى مصر وهناك اختبر الله سبحانه وتعالى عبدته سارة التي من الله عليها بنور الإيمان وجمال الخلق.

وكان جبارا من الجبابرة واليا على مصر وعندما أخبره أحد الرجال من حاشيته الفاسدة أن رجلا قدم من الشام ومعه امرأة جميلة أمر الوالي بإحضار المرأة الجميلة التي لم تكن سوى سارة زوجة إبراهيم عليه السلام والتي أوصاها إبراهيم قبل أن يأخذها رجال الولي أن تقول إنها أخته لأنه كان من عادة القوم ألا يأخذون الأخت ولا يعتدون عليها.

وعندما حاول الوالي المغرور أن ينال من السيدة سارة دعت ربها فإذ بيده قد شلت وأصبحت لا يستطيع حراكها فلما رأى ذلك ترجاها أن تعود ذراعه إلى حالته الأولى، وأنه لن يفعل بها شيئا ولما دعت الله فشفي ذراعه، فحاول أن يمسها بسوء مرة أخرى فدعت ربها فإذا بذراعه قد شلت وآلمته أكثر من الأولى فترجاها أن تعود ذراعه إلى حالها وعلم أن بهذه المرأة سرا، وأنها ليست كغيرها من النساء.. فكف عنها وأمر بإخراجها من ساحته، ومن خوفه منها وتبجيله لشخصها أعطاها جارية يقال لها "هاجر"، ولما فك الله أسر السيدة سارة وأرجعها إلى زوجها إبراهيم سالمة غانمة جاءت إليه فوجدته ساجدا يناجي ربه فلما أحس بها قام إليها وسألها فقالت: "رد الله كيد الكافرين والفاجرين في نحورهم، وأخذه هاجر".

فرحت السيدة سارة بهاجر وأحبتها حبا شديدا وعلمتها كيفية الإيمان بالله، وعبادة الواحد الأحد.. ومرت السنون والأيام.. والسيدة سارة لا تنجب وبلغ الكبر مبلغه فيها ومن إبراهيم عليه السلام، وكانت السيدة سارة تصغر زوجها بعشر سنوات.. وكان سيدنا إبراهيم يحب زوجته سارة حبا كبيرا وهي كذلك فلما علمت أنها لا تنجب وهبت له هاجر حتى ينجب منها، وقد كان، فأنجبت له هاجر ولداً سماه إسماعيل!

أما السيدة سارة فعلى الرغم من اختبار السماء لها بعدم الإنجاب فإنها كانت وفية في عبادتها لربها ومخلصة في إيمانها واستسلمت لقضاء المؤمنة الصابرة المحتسبة من مكافأة وهدية لهذا الصبر الجميل.

وفي يوم من أيام الله جاء إلى سيدنا إبراهيم ضيفان رجلان عليهما لباس بيض لا يبدو عليهما وعثاء السفر وعرفا من سيدنا إبراهيم شدة الكرم حتى إنه لم يأكل في حياته قط طعاما بمفردة .. فنادى زوجته أو كما يقول النص القرآني: {فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ } (الذاريات:٢٦) وفي آية أخرى: {فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ}(هود:٦٩) والعجل الحنيذ هو العجل المشوي على الحجارة وكلمة "ما لبث" هنا تؤكد أن السيدة سارة لم تأخذ وقتا طويلا في إعداد العجل وشويه، بل إنها كانت امرأة نشيطة تكرم ضيوفها وتعين زوجها على مكارم الأخلاق، ولعلنا نتعجب إذا علمنا أن عمر السيدة سارة يؤمئذ كان تسعين عاما ويقال إنه كان أكثر من ذلك!!

وبعد أن جهزت السيدة سارة طعام الضيوف نادت زوجها ليقدمه لهم، وظلت قائمة على خدمتهم مع زوجها، فلما رأى سيدنا إبراهيم أن الضيف الذي لا يأكل طعام المضيف يضمر له الشر، أو ينوي لأصحاب البيت سوءاً، ولما رأى الرجلان ذلك كشفا عن شخصيتهما الحقيقة فما هما إلا ملكان كريمان هبطا من السماء مباشرة إلى إبراهيم ليخبروه بأن الله بعثهم إلى قوم لوط لإهلاكهم.

فلما سمعت السيدة سارة بقرب هلاك قوم لوط ضحكت لأنها كانت تهتم الله وكانت تحت نصرة الله ونصرة دينه، لما اهتمت بشأن الله سبحانه وتعالى اهتم الله بشأنها وأراد أن يمن عليها بمعجزته الخارقة فبشرتها الملائكة بمولود، وفي ذلك يقول تعالى: {وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ

يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣) } (هود :٧١-٧٣)

ولما تعجلت السيدة سارة من بشرى الملائكة لها، لأنها كانت امرأة مسنة، وكانت أيضا عقيما لا تلد والعقم وحدة كاف لا ستحالة الولد، فكيف إذا اقترنت معه الشيخوخة والهوم كما أخبر الله في سورة الذاريات {فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) } (الذاريات:٢٩).

وسارعت الملائكة إلى تهوين الأمر على السيدة سارة، وقالت لها ليس هناك ما يدعو إلى العجب فإن قدرة الله لا يعجزها شيء، وهو على ما يشاء قدير رحمكم الله، وبارك فيكم يا آل بيت إبراهيم إنه تعالى محمود ممجد في عظمته وكبريائة، وإذا أراد شيئا يقول له كن فيكون فسبحانه وتعالى هو الحميد المجيد.

وهكذا أنجبت السيدة سارة ولدها إسحاق الذي كبر وتزوج وأنجب ابنه يعقوب وقرت عين السيدة سارة بولدها وحفيدها، فكانت نعم العبدة المؤمنة التي ذكر اسمها في قرآن يتلى إلى يقوم الدين.

قنطورا وحجون

اسمان لزوجتين بني بهما "إبراهيم الخليل"، عليه السلام، بعد سارة وهاجر، تزوجهما وقد تجاوز العقد الثاني عشر من عمره وقد أنجبتا كثيراً من الذرية، ومن نسل الأولي قنطور كان بنو مدين، قوم نبي الله شعيب، عليه السلام.

أما قنطورا فهي ابنة يقطن الكنعانية، تزوجها الخليل عليه السلام بعد وفاة سارة وهاجر، فأنجبت منه ستة من البنين هم: "مدیان" و"زمران" و"سرج" و"يقشان" و"نشق" ذكر ذلك أبو القاسم السهيلي في كتابه التعريف والإعلام ولم يسم السادس من الأبناء.

ومن الأول مديان ولد مدين الذي هو رأس القوم الذين أرسل إليهم شعيب عليه السلام، {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} (الأعراف:٨٥)

فهل كان شعيب منهم ومن صبلهم؟ أم له نسب يتصل بهم؟ اختلف في ذلك كثيراً.

قال ابن كثير رحمة الله: "كان أهل مدين قوما عربا يسكنون مدينتهم مدين التي هي قربية من أرض معان من أطراف الشام، مما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة لوط وكانوا بعدهم بمدة قربية".

ومدين قبيلة عرفت بهم وهم من بني مديان بن إبراهيم الخليل وشعيب نبيهم هو ابن ميكيل بن يشجن ذكره ابن إسحق قال: ويقال له بالسريانية: يثرون وفي هذا نظر.

ويقال: شعيب بن لاوي بن يعقوب.

ويقال: شعيب بن مدين (مديان) بن إبراهيم.

ويقال: شعيب بن ضيفور بن عيفا بن ثابت بن مدين (مديان) بن إبراهيم.

وقيل غير ذلك في نسبة.

وقال ابن عساكر: ويقال جدته – ويقال أمه– بنت لوط عليه السلام.

وعن وهب بن منبه أنه قال: شعيب وملغم ممن آمن بـ"إبراهيم" يوم أحرق بالنار وهاجرا معه إلى الشام فزوجهما ابنتي لوط علية السلام ذكره ابن قتيبة وفي هذا كله نظر أيضاً والله أعلم.

وذكر أبو القاسم السهيلي في كتابه أيضاً أن إبراهيم عليه السلام تزوج بعد قنطورا بحجون بنت أمين فولدت له كيسان وسورج وأميم ولوطان ونافس، فهل تزوج من حجون بعد موت قنطورا أم أنه تزوجها في حياتها؟

يظل السؤال معلقاً.

وليس أحد من أولاد إبراهيم من حجون بنت أمين من له ذرية أو سلالة وذكر سوى هذه الأسماء وكلها مرويات إسرائيلية عن كعب الأحبار أو وهب بن منبه أو غيرهما ممن دسوا هذه الأخبار على الناس فذهب بعض العلماء والمؤرخين إلى الأخذ بها والتسلم وذهب الأكثرون إلى ردها.

هاجر زوج سيدنا إبراهيم

"هاجر المصرية" سيدة القطرين أميرة "منف" وزوجة مليكها كانت قد آمنت بآلهة قومها المتعددة تلك الآلهة التي قال عنها الكهان المصريون، إنها تحمي المصريين وتدافع عنهم وتحارب من أجلهم بل تقاتل بالسلاح في صفوفهم.

فلما حدث أن هجم "الهكسوس" على زوجها وخرج لحربهم لم تتخيل قط أن الهكسوس ينتصرون على زوجها ويقتلونه شر قتلة، فلما حدث هذا راحت تسأل نفسها لماذا آمنت بهذه الآلهة التي لا تستطيع أن تفعل شيئاً لمن آمن بها؟!.

وبدأت هاجر تفكر تفكيراً جديداً وهجم الهكسوس على قصرها ودخلوا إلى غرفتها وعرفوا من التاج فوق رأسها أنها أميرة القصر فحملوها إلى قائد الجيش الذي حملها بدوره إلى الملك، وما إن مثلت بين يديه حتى أهانها وأذلها وعيرها بحبس زوجها، ثم أمر بنزع التاج عنها وضمها إلى جواري القصر حتى أهداها "لسارة".

وفي رأي آخر أن هاجر كانت معروفة وشريفة من أهل عين شمس فكان الملك فيهم حتى غلبهم أهل منف وسلبوهم ملكهم، وبعد أن أهدها الملك إلى "سارة" زوجة "إبراهيم" بعد أن زاملتها في القصر فترة من الوقت ورأتها دائمة الصلاة والذكر والتسبيح أحست "هاجر" بنفسها تنجذب إلى سارة وإلى دينها سائلة عن أموره وطقوسه التي تتبعها "سارة" فانشرح قلبها لهذا الدين الجديد واستقرت وتعلقت كل منهما بالأخرى فلم تستطيعا الفراق حتى جاء النبأ السعيد

بقرب سفر "سارة"، ثم إهداء "هاجر" إليها من قبل الملك مع كثير من المتاع والأنعام والمال تكريما لزوجها "إبراهيم" بعد أن أقاما في مصر ما شاء لهما الله.

بعد فترة من الاستقرار رأت "سارة" بعد الرحيل من مصر أن تهب "هاجر" لزوجها "إبراهيم" عسى أن ينجب منها الولد الذي يتمناه من الله فحياتهما ناقصة من عناصر البهجة وحياة الدعوة محتاج إلى ولد يشرب مبادئها ويشرب في جوها ويسير على قواعدها ثم يتابع الرسالة ويحمل الأمانة والدعوة بعد أبيه.

رأت "سارة" في هاجر هذا الأمل فهي تراها تعبد الله وتساند زوجها في دعوته إلى جانب ذكائها وسرعة استجابتها للأمور الدينية التي كانت تتبعها "سارة" في منزلها ومع من حولها فراحت وبرضاء داخلي من الله سبحانه وتعالى توافق على هذه الفكرة، ولأن الكلمة أيضا ستظل لها وأن سيادتها عليها ستظل قائمة فهي صاحبة البيت وربته وهي المتكرمة بتزويج "إبراهيم" والمتفضلة على هاجر بهذا الشرف وهذا كله ما هداها الله إليه، وتم الزواج وحملت "هاجر" وبشعور الأم التي تحضن في بطنها بشارة حريتها وكرامتها أقبلت على الحياة حريصة كريمة أن الحمل وسيلة إلى علو المكانة ورفعة المنزلة وهو الذي سينقلها من كونها خادمة إلى امرأة كاملة السيادة والحرية ولقد غمرتها السعادة كل السعادة أنها ستعطي "إبراهيم" كل ما يتمناه حين اتجاه إلى ربه متضرعا "رب هب لي من الصالحين".

هكذا أراد الله أن يجزيها جزاء الشاكرين وأن يعلي قدرها ويرفع مكانتها فوق نسوة عصرها ليأتي النسل المبارك الذي يرث مشارق الأرض ومغاربها كما أخبرتها الملائكة حينما حملت به، أن الله جاعل من هذا الذي حملت خيرا وبشرها أنها ستلد ابناً وتسميه "إسماعيل"، ويملك جميع بلاد إخوته "قال ابن

كثير هذه البشارة انطبقت على ولده – محمد "فإنه الذي سادت به العرب وملكت جميع البلاد شرقا وغربا وأتاه الله من العلم النافع والعمل الصالح ما لم تؤت أمة من الأمم قبلهم وقد شرف رسولها على سائر الرسل ببركة رسالته وعن سفارته وكماله فيما جاء به وعموم بعثته لجميع أهل الأرض"، عندما وضعت "هاجر" "إسماعيل" عليه السلام "إبراهيم وسارة وهاجر" لله ساجدين ومصلين داعين الله سبحانه أن يبعده عن الشيطان الرجيم وراحت "هاجر" تقوم الليل تصلي لله ما استطاعت لذلك سبيلا، فقد منّ الله عليهما بنعمته الكبرى إذ اصطفاها من نساء مصر لتنجب ذرية الخليل "إبراهيم" فتكون زوجاً لرسول حليم وأما لابن رسوله الكريم، بدأت الغيرة تتسلل إلى قلب "سارة" واشتدت بها يوما بعد يوم فطلبت من "إبراهيم" أن يغيب "هاجر" وولدها عنها فأمره ربه سبحانه وتعالى أن يبعد "هاجر" وابنها ويسكنها في أرض مكة لتبرد عن "سارة" حرارة الغيرة، وهذا من رحمته ورأفته تعالى وعرفت هاجر بذلك فأسلمت وجهها لله رب العالمين.

ولنا أن نتصور معها رضيعها في أرض صحراء لا زرع فيها ولا ماء إلا الإيمان والثقة وثقة المؤمن بربه مطمئن القلب برحمته.

وقد سألت "هاجر" زوجها كيف تتركنا في هذه الصحراء مرات ومرات فلم يجبها ولما سألته: أأمرك الله بذلك؟ وأجابها: نعم قالت إذن لن يضيعنا الله امض في طريقك بما أمرك به الله.

انطلق "إبراهيم" حتى إذا كان عند "الثنية" حيث لاتراه "هاجر" انتقل بوجهه مكان البيت ثم دعا ربه قائلاً: { رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧)} (إبراهيم: ٣٧).

جعلت "أم إسماعيل" ترضع "إسماعيل" وترعاه حتى إذا نفد الماء من السقاء التي كان معها وعطشت وعطش ابنها جعلت تنظر إليه كيف يتألم فانطلقت كراهة أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض فقامت عليه فاستقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا، فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي سعت سعي الإنسان المجهد، حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها، ففعلت مثلما فعلت في الصفا وفعلت ذلك سبع مرات فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبة حتى ظهر الماء فجعلت تحوض – أي تجعله مثل الحوض وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة هنا فإن ها هنا بيت الله يبينه هذا الغلام وأبوه وأن الله لا يضيع أهله، كان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ يمينه وشماله وكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من "جرهم" أو أهل بيت جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا الطائر "عائفا"، فقالوا إن هذا الطاذر ليدور على ماء فأقبلوا إليها مستأذنين أم "إسماعيل" أن ينزلوا عندها فقالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء فقالوا: نعم، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: فألقي ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم لينزلوا معهم.

خرج "إبراهيم" عليه السلام بعد ذلك ليزور "هاجر وإسماعيل" وعند البيت المحرم رأى "إبراهيم" "زمزم" ووجد أمة من الناس يسقون ووجد حياة وحركة فانشرح صدره واطمأن قلبه لأنه يشهد رحمة الله وبركاته على أهله، وها هي

"هاجر" المؤمنة الشاكرة تعيش في كنف الله معها ابنها "إسماعيل" تحوطه العناية الإلهية قرب البيت العتيق الذي سيبنيه "إبراهيم وإسماعيل".

أراد الله أن يشب "إسماعيل" عند بيته المحرم وذلك أمر الله وحكمته.

لقد اصطفى الله "هاجر" المصرية وزوجها "إبراهيم" لتكون "أم إسماعيل"، تلك المرأة الحامدة الصابرة وشب "إسماعيل" عليه السلام وصار يسعى في مصالحه كأبيه وظهرت تربية أمه له فكان شاباً قوياً صالحاً حليماً.

زوجتا إسماعيل عليه السلام
بين الطلاق والتثبيت

عاش النبي إسماعيل عليه السلام في شبه الجزيرة العربية ما شاء الله له أن يعيش، روض الخيل واستأنسها واستخدمها، وساعدت مياه زمزم على سكن المنطقة وتعميرها فاستقرت بها بعض القوافل وسكنتها القبائل وكبر إسماعيل وتزوج امراة عاشت معه بعد وفاة أمه "هاجر"، وجاء إبراهيم بعد فترةٍ ليتفقد أحوال ابنه وأهله، ولم يكن إسماعيل موجودًا في البيت، فوقف على امرأته دون أن تعرفه، وراح يسألها عن إسماعيل، فقالت:

خرج يبتغي لنا، وسألها عن أحوالهم وكيف يعيشون، فراحت تشكو الضيق وتعلن أنهم في أسوأ حال ولم تستضِفْه، فقال لها: إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له يغير عتبةَ بابه، وتركها إبراهيم وانصرف راجعًا، فلما جاء إسماعيل عليه السلام عرف أنَّ أباه قد حضر، فسأل زوجته: هل جاءنا أحد اليوم؟ قالت: جاءنا رجل شيخ.. وراحت تصِفه له وذكرت له ما سألها عنه، وأخبرته بما قالت هي له، فقال لها إسماعيل عليه السلام وهل أوصاكِ بشيءٍ؟ قالت: أوصاني أن أقرأ عليك السلام، ويقول لك أن تغير عتبةَ بابك.

فقال إسماعيل عليه السلام: ذلك هو أبي، وقد أمرني أن أطلقك، وطلّقها فلحقت بأهلها، ثم تزوج بأخرى من قبيلة (جُرهم).

وعاود إبراهيم زيارته إلى بيت ولده إسماعيل عليه السلام وكان إسماعيل خارجًا، فدخل فلم يجده ووجد زوجته، فرحَّبت به واستضافته، فنزل وسألها عنه

فقالت: خرج يطلب الرزق لنا، قال: كيف أنتم؟، وكيف تعيشون؟ قالت: نحن بخير وسعة والحمد لله، فقال إبراهيم: وما طعامكم وشرابكم؟ قالت: أما طعامنا فاللحم، وأما شرابنا فالماء، فقال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء، ثم قال لها: إذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام، وقولي له يثبت عتبة بابه ويستوصي بها خيرًا.

ولما رجع إسماعيل إلى بيته سأل امرأته: هل زاركم أحد اليوم؟ قالت نعم رجل شيخ حسن الهيئة، سألني عنك، فأخبرته أنّك خرجت في طلب الرزق، وسألني عن حالنا وكيف عيشنا، فأبلغته أننا بخير وسعة من الله، وسأل إسماعيل عليه السلام زوجته: هل أوصاك ذلك الشيخ بشيءٍ؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك وتستوصي بها خيرًا.

قال: إنه أبي، وأنتِ عتبةُ الباب، وقد أمرني أن أثبّتك في بيتي زوجةً لي، وأستوصي بكِ خيرًا، وقد اختلفت الراوايات في اسم زوجة إسماعيل عليه السلام مع الاتفاق أنها من قبيلة جرهم العربية التي يتصل نسبها بـ(سام بن نوح) عليه السلام.

وزوجة إسماعيل الأولى التي طلقها بإشارة من أبيه إبراهيم عليه السلام قيل أن اسمها عمارة بنت سعد بن أسامة، وقيل اسمها جداء سعد، وقيل اسمها حبي بنت أسعد بن عملق وقيل غير ذلك، أما زو جته الثانية فهي سامة بنت سعد، وقيل عاتكة، وقيل بشامة بنت مهلهل بن سعد بن عوف، وقيل اسمها جدة بنت الحارث ابن مضاض، وقال ابن إسحاق اسمها رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمية، وقال الكلبي: هي رعلة بنت يشجب بن يعرب بن لودان بن جرهم، وقال الدارقطني في المختلف اسهما السيدة بنت مضاض، وقيل اسمها هالة بنت الحارث، وقيل الحنفاء وقيل سلمي وغير ذلك.

إذن "عمارة" و"السيدة" زوجتا إسماعيل "عمارة بنت سعد ابن أمامة بن أكيل العماليقي"، والسيدة بنت مضاض بنت عمرو الجرهمي هما زوجتا إسماعيل (عليه السلام) أما الأولى فقارقها بأمر أبيه إبراهيم، وأما الثانية فكان له معها الدوام والود والسكن، والذرية!

والثانية "جرهمية" ممن نشأ إسماعيل بينهم في مكة وتلقى عنهم العربية الفصحى قال رسول الله ﷺ: "أول من فتق لسانه بالعربية البينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة".

بعد وفاة هاجر تزوج إسماعيل عليه السلام بفتاة من العماليق وهم عرب قدموا إلى مكة وقد عمرت فأقاموا فيها مع قبيلة جرهم الذين كانوا أول من نزل مع هاجر، وقد استأذنوها بماء "زمزم" فأذنت لهم وكان اسم الفتاة – من العماليق – "عمارة بنت سعد".

وكان من عادة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام أن يأتي مكة زائراً لـ"هاجر" وولده إسماعيل يتفقد حالهم ويطمئن عليهم بين الحين والحين.

فأتى مكة وقد ماتت هاجر وتزوج إسماعيل فلم يجد ولده في البيت فسأل زوجته "عمارة" عنه فقالت: خرج يبتغي لنا.. يسعى علينا في طعامنا وشرابنا فسألها إبراهيم كيف عيشكم وحالكم؟ فقالت عمارة: نحن بشر نحن في ضيق وشدة.. واشتكت له من سوء الحال، فأدرك عليه السلام أنها ليست في قناعة ورضا، وأنها ليست بالزوجة الصالحة الجديرة بنبي.. فآثر الرحيل وقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه مني السلام وقولي له: يغير عتبة بابه!! ولم يخبرها عن نفسه بشيء. فلما رجع إسماعيل من سعيه وكانه آنس شيئاً، قال لزوجته: هل جاءكم

من أحد؟ فقالت: نعم جاءنا شيخ من صفته كذا وكذا.. فسألني عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أننا في جهد وشدة.. فقال إسماعيل: هل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرني أن أقرأك السلام، وأقول لك: غير عتبة بابك..! فقال "إسماعيل": ذاك أبي..! وقد أمرني أن أفارقك فالحقي بأهلك وطلقها. ثم تزوج عليه السلام من السيدة "بنت مضاض" الجرهمية.

وجاءهم إبراهيم الخليل عليه السلام زائراً أيضاً بعد فترة فلم يجد إسماعيل، ووجد السيدة زوجته فسألها عنه؟ فقالت: خرج يبتغي لنا فقال: كيف أنتم؟ وكيف عيشكم وحالكم؟ فقالت: نحن بخير وسعة وحمدت الله تعالى فسألها: ما طعامكم ؟ قالت: اللحم ثم سألها وما شرابكم؟ فقالت: الماء.. فدعا إبراهيم عليه السلام ربه قائلاً اللهم بارك لهم في اللحم والماء..! وقال إبراهيم لـ"السيدة": إذا جاء زوجك فأقرئيه مني السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما رجع إسماعيل سألها: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك؟ فأخبرته فسألني: كيف عيشنا؟ فأخبرته أننا بخير قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت نعم.. هو يقرؤك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك..! قال: إسماعيل عليه السلام ذاك أبي.. وأنت العتبة وأمرني أن أمسكك.

وأنجب إسماعيل عليه السلام منها اثني عشر ولداً ذكراً هم: نابت وقيدار وأزبل وميشي ومسمع وماش ودوصا وآزر ويطور ونبش وطيما وقيذما.

ذكرهم بأسمائهم محمد بن إسحاق وهي نفس الأسماء عند أهل الكتاب وكان له ابنة اسمها قسمة أوصى أخاه إسحاق عند وفاته أن يزوجها من ابنه العيص أخو يعقوب عليه السلام، وعرب الحجاز كما يقول المؤرخون وعلماء

النسب هم من ذرية ولديه نابت وقيدار وأمهم هي السيدة بنت مضاض الجرهمية.

وهنا تنقطع أخبارها فلا ندري هل ماتت في حياة إسماعيل عليه السلام أم بعده؟ الله أعلم.



امرأة لـوط

لم تشهد المجتمعات انحطاطاً خلقياً وتردياً في بؤرة الفساد والانحلال كما كان عليه مجتمع قوم لوط، وذلك بشهادة القرآن الكريم الذي يقول لهؤلاء القوم على لسان نبيه: { أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٨٠)} (الأعراف:٨٠)، فكانت امرأة لوط من قوم لايتعففون عن المعصية وكانوا من أفجر الناس، حيث فشت فيهم فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم وهي فاحشة الشذوذ التي أخذت اسمهم لغلبتها عليهم فسميت هذه الفاحشة "لواطا".

ولوط بن هاران شقيق "إبراهيم" الخليل، عندما مات أبوه تبناه عمه "إبراهيم" الخليل، لأنه لم ينجب أبناء حتى بلغ التسعين من عمره، وكان لوط أول من آمن "بإبراهيم" من الصبية وهاجر معه من بابل إلى حاران ثم تزوج وهاجر معه إلى الشام واستقر بمدينة "سدوم" بالأردن هو وعبيده ومواشيه وزوجته وبناته، ويقول الله تعالى عنه "فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم".

ولقد دعاهم عليه السلام إلى التوحيد ونهاهم عن تعاطي المحرمات والفواحش، ولكنهم تمادوا في ضلالهم بل سولت لهم أنفسهم أن يخرجوا "لوطا" ومن معه ممن آمنوا به من قومه لأنهم لا يقترفون هذه الفاحشة ويقول الله تعالى في هذا المعنى: "وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون".

وكانت هذه العجوز، قد اشترت الضلالة بالهدى، وانضمت إلى الكافرين العاصين فما ربحت تجارتها وما كانت من المهتدين، لذا حق عليها العقاب مع الذين نزل عليهم العذاب الأليم.

وقد كانت هذه المرأة تشير على قومها أن يعيروا زوجها وترى من أحوالها ما لا يرون فتعرف عنه أكثر مما يعرفون وكانت عينا لهم على "لوط"، وكان موقفها من زوجها ودعوته موقفاً عجيباً فهي عجوز بلغت من الكبر عتيا، فقد تجاوزت سن اليأس بكثير ومنطق الحياة يفترض فيها الهدي بعد الضلال والاستقامة بعد الانحراف لكنها رغم هذا كله ظلت على ولائها لفسادها فظلت على سيرها في طريق الشيطان طريق نقمة من نار السموم تتأجج بالخطيئة والإثم والخروج عن ناموس البشرية الطاهرة الفطرة ومن خيانة امرأة "لوط" أنه كان إذا نزل به ضيف جعلت الدخان ينبعث من بيتها لتعلم قومها أنه قد نزل به ضيف وهذا إن لم تستطع أن تخبرهم بنفسها.

وهكذا كانت المرأة مثلا مضروباً لكل من ابتعد عن الهدي وركب طريق الظلام في الوقت الذي بين يديها، وفي بيتها المصباح الموجه إلى مسالك الحق والخير والإيمان.

لقد أبرزت القصة القرآنية هذا النوع من النساء السفيهات اللاتي غلب عليهن الهوى، واستحوذ عليهن الشيطان فألقين بأنفسهن في مهاو الضلال والكفر، بالرغم من أنهن أصحاب بعولة نبوية تتلقى الوحي والدعوة قريبات من أصحاب الرسالة كما بينت القصة القرآنية من خلال ما حدث لهذه المرأة ومثيلاتها أن العذاب يدفع بالطاعات لا بالوسيلة والاعتماد على صلاح الآخرين فكل نفس بما كسبت رهينة.

قال الإمام الرازي: وأما ضرب المثل بامرأة نوح المسماة "بواعلة" وامرأة لوط المسماة "بواهلة" فتشتمل على فوائد متعددة لا يعرفها إلا الله تعالى منها التنبيه للرجال والنساء على الثواب العظيم والعذاب الأليم، ومنها العلم بأن صلاح الغير لا ينفع المفسد وفساد الغير لا يغير المصلح، ومنها إن كان الرجل في غاية الصلاح فلا يأمن من المرأة ولا يأمن من نفسه كالصادر من امرأتي نوح ولوط والاثنتان فرقتا الأسرة، فالأولى فرقت بين أولادها مع أبيهم وبين ابنها كنعان والثانية ضحت ببناتها وزوجها وجعلتهم في جانب وهي في جانب آخر مع قومها لذلك حق قول الله تعالى عليها: { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠)} (التحريم: ١٠)

وذهب لوط عليه السلام بعد ذلك مع بنتيه ومن آمن معه إلى عمه عليه إسلام وسكن بجواره حتى توفي.

أما زوجته فقد هلكت مع قومها حيث دمر الله بلدهم ومنازلهم، حيث هلكوا جميعا كما جاء في كتابه الكريم: " الُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ".

صفوراء زوج موسى عليه السلام

نموذج رفيع للمرأة وقد أظهرت لنا في تصرفاتها أمرا أو صفات يجب أن تتحلى بها المرأة مثل الحياء والتلطف والعمل إن لم يكن لها عائل فالعمل شرف وكرامة، ومن تلك الصفات رجاحة العقل وحسن التصرف حتى في اختيار الزوج.

صفورا وهي بنت شعيب النبي لأهالي مدينة مدين المدينة التي كانت واقعة في جنوب الشام وشمال الحجاز. من سماتها الشخصية كما جاءنا في القرآن الكريم الحياء والخجل، وهما من مستلزمات الروح العبادية لله عز وجل والإيمان وحسن انتخاب الزوج مع الاعتماد على القيم المعنوية، تلك القيم التي تؤدي إلى تقوية الحياة الروحية وتحول دون انهيار العلاقات في الأسرة.

بعدما كان موسى ملاحقاً من جانب الفراعنة قرر السفر إلى أرض مدين، حيث كانت منفصلة عن حدود الفراعنة وقام برحلة كانت غير مسبوقة في حياته وكان يحمل معه رأسمالاً واحداً هو الإيمان بالله عز وجل والاتكال عليه في أعماله ومهامه، فكان يطلب من الله عز وجل أن ينقذه من شر الظالمين، ويهديه إلى مكان آمن.

وقد وصل موسى في نهاية المطاف إلى مدين وهو متعب ومنهك القوى، وقد لجأ إلى ظل شجرة للاستراحة في ذلك المكان. وكان على مقربة بئر للماء كان يأتي إليه الرعاة في تلك الساعات ويلتفون حوله لإرواء غنمهم ومواشيهم.

ووجد عند البئر قوما يسقون وامرأتين تحبسان وتكفان غنمهما عن الماء، حتى لا تختلط بغنم القوم وتنتظران حتى تنتهي الناس من السقاية كي تبدأ هاتان

المرأتان تسقيان ماشيتهما بعد ذلك، وما فعلا ذلك إلا لضعفهما ووجود من هو أقوي منهما على الماء إلى جانب أنهما كانتا تكرها مخالطة الرجال.

رأى سيدنا موسي هذا على البئر فتقدم وسأل "ما خطبكما" وكان الرد "لا نستطيع أن نزاحم الرجال والرعاة ولهذا السبب فإننا نتأخر عن السقي وأن أبانا شيخ كبير"، وهذه دلالة على حسن التربية، وعندما سمع موسى ما قالته المرأتان لم يتوان في تقديم المساعدة لهما بأي شكل من الأشكال مستخدماً قوته الجسمانية، فسقى لهما ثم أوى إلى ظل شجرة قريبة من بئر الماء يناجي ربه بلسانه وقلبه قائلاً: { فَقَالَ رَبّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْت إِلَيَّ مِنْ خَيْر فَقِير (٤٢)} (القصص: ٤٢).

فكافأه الله بسرعة الرد من إحدى هاتين الفتاتين "فجاءته إحداهما تمشي على استحياء" وقالت له: "إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا"، وكانت هذه المرأة الكبرى وهي امرأة امتدحها الله عز وجل بالحياء وقد وقفت أمام موسى عليه السلام، وأبلغته الرسالة الشفوية التي حملتها من أبيها حرفا بحرف.. وفي أدب جم جاءت صفوراء لتؤدي إلى موسي دعوة في تأدب جم وفي هذا دليل على فطرتها السليمة وتربيتها المستقيمة القوية.

كانت أمينة قوية لم تضطرب عند لقائها بموسى لثقتها بطهارتها ولثقتها بعفتها.. ثم عللت الدعوة بالجزاء وذلك حتى لا يوهم كلامها ريبة فيشك في حالها، وفيه أيضا إظهار لعفتها.

استجاب موسى لدعوة الرجل الصالح، ومن ثم صحب صفوراء إلى بيت أبيها ويروي أنه على الطريق أخذ ينظر يمينا ويسارا ثم قابل أباها وحدث بينهما ما بدد خوف موسى.

أشارت صفوراء على أبيها أن يستأجر موسى ليرعى الماشية وفي هذا يقول القرآن الكريم: "قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين"، صفتان القوة والأمانة وأوضحتهما صفوراء في سيدنا موسى عليه السلام، حيث قصت على أبيها قصة موسى معها هي وأختها عند البئر معا، كان من القوة وعن تصرفه عند مصاحبته لها إلى أبيها في الطريق وما كان فيه من أمانة وهذه فراسة في محلها يقول ابن مسعود "أفرس الناس ثلاثة: صاحب يوسف حين قال لامرأته "أكرمي مثواه" وصاحبة موسى حين قالت لأبيها " قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين " وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب.

استجاب والد صفوراء للعرض المبارك الذي أدلت به ابنته ولم يرفض طلبها، ويشير إبداء الرأي من قبل صفوراء إلى حسن طريقة التربية التي كان يتمتع بها أبوها ذلك الرجل الصالح، حيث لا يحرم ابنته من حق إبداء الرأي في الذي فيه خير لها بذلك ظهرت تربيتها الحكيمة إذ إنها لم تتلعثم فيما تكلمت به أمام والدها ولم تخش من سوء الظن.

ويبدو أن فكرة الزواج وهي الأصل في الطلب، ومن ثم كان الاستئجار فقد قال القرآن على لسان شعيب وهو يحدث موسى "إني أريد أن أنكحك إحدي بناتي هاتين"، ولعله أراد بإحداهما التي قالت "يا أبت استأجره"، ولشعوره أن هناك عاطفة شريفة تمت بين قلب ابنته وبين هذا الرجل القوي الأمين موسى عليه السلام وحدث الاتفاق، وأتمه موسى وتزوج صفوراء ومضت السنوات العشر التي قضاها موسي أجيراً عند الشيخ الكبير في مدين وبعدها قرر العودة إلى أهله

بمصر وفي الطريق حدثت المفاجأة الكبرى باختياره نبي الله وكلام الله له، وانتهى عند هذا الحد ذكر صفوراء حيث جاء في القرآن الكريم أن موسى { فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا } (طه: ١٠). من الواضح أن رسالة موسى الإلهية كانت صعبة وشاقة للغاية فأعطاه ربه من الزوج من تتحلى بصفات رائعة عظيمة حتى تكون سندا له في رسالته وفيما واجهه بعد ذلك من صعوبات ومشقات اختبره الله تعالى بها.

وصفورا التي تربت في مدرسة دينية كمدرسة أبيها شعيب عندما تختار الزوج لنفسها فإنها تختار الرجل القوي الأمين، فهذه كانت صفات ملاحظة وضعتها صفوراء نصب عينها في انتخاب زوجها. فقال النبي شعيب لموسى: أنوي أن أزوجك إحدي ابنتي بشرط أن تعمل لي مدة (٨) أعوام ولو عملت أكثر من هذه المدة اعتبر ذلك من مودتك فأنا لا أريد أن أجهد عليك وإن شاء الله ستجدني من الصالحين. " قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) (القصص: ٢٧) .

وكان موسى في خدمة شعيب لمدة عشرة أعوام وقد تعلم الكثير في مدرسة هذا النبي. وبعد انتهاء هذه المدة استأذن من شعيب للعودة إلى مصر مع زوجته ليزور أمه وأخته وأخيه، لأنه كان يفكر كثيراً بزيارتهم، وكان يرغب أن تشاهد أمه ابنها الضائع وهو صهر للنبي شعيب، وأذن شعيب كي يذهب موسي مع زوجته لزيارة أمه وذويه للتوجه إلى مصر.

وفي هذه الرحلة انتخب فيها موسى في ليلة ظلماء وباردة وعلى مقربة من جبل طور بدرجة النبوة. وبذلك منحت صفوراء الأصالة للقيم المعنوية

والكمالات الإنسانية التي كان يتمتع بها موسى غير معتنية بالقضايا المادية في أمر الزواج وأنها تزوجت من أحد الأنبياء الإلهيين، وأنها تكون قد أرست سعادتها الأبدية بهذا الانتخاب الصالح.



زوجات يعقوب عليه السلام:

"ليا" و"راحيل" و"زلفي" و"بلهي"

"ليا" و"راحيل" أختان لأب واحد هو "لابان"، وزوجتان لنبي الله "يعقوب" عليه السلام، وكان الزواج بالأختين مشروعاً آنذاك على مذهبهم.. منهما ومن جاريتيهما "زلفي" و"بلهي" كان الأسباط الأثني عشر "بنو إسرائيل". ومنهن تسلسلت النبوة في بني "إسرائيل" حتى "عيسى" عليه السلام.

خرج "يعقوب" عليه السلام هارباً من غضب أخيه "العيص".. مشمولاً بدعوة أبيه "إسحاق" – عليه السلام – وتقول رواية "التوراة": "فأدركه المساء في موضع فنام فيه، وأخذ حجراً فوضعه تحت رأسه ونام، فرأى في نومه ذلك معراجاً منصوباً من السماء إلى الأرض، وإذا الملائكة يصعدون فيه وينزلون، والرب تبارك وتعالى يخاطبه ويقول له: "إني سأبارك عليك وأكثر ذريتك، واجعل لك هذه الأرض ولعقبك من بعدك".

فلما هب من نومه فرح بما رأى، ونذر لله إن رجع إلى أهله سالماً ليبنين في هذا الموضع معبداً لله عز وجل، وأن جيمع ما يرزقه من شيء يكون لله عشره، ثم عمد إلى ذلك الحجر فجعل عليه دهناً يتعرفه به، وسمي ذلك الموضع "بيت إيل"، أي: بيت الله، "فلما قدم "يعقوب" على خاله "لابان" في أرض "حران" إذ له ابنتان، اسم الكبرى "ليا" واسم الصغرى "راحيل" – وكانت أحسنهما وأجملهما – فطلب زواجها، فأجابه إلى ذلك بشرط أن يرعى غنمه سبع سنين.

فلما مضت المدة على خاله "لابان" صنع طعاماً وجمع الناس عليه، وزف إليه ليلا ابنته الكبرى "ليا" وكانت ضعيفة العينين، قبيحة المنظر، فلما أصبح "يعقوب" إذا هي "ليا"، فقال لخاله: لم غدرت بي وأنا إنما خطبت إليك "راحيل"؟ فقال "إنه ليس من سنتنا أن نزوج الصغرى قبل الكبرى، فإن أحببت أختها فأعمل سبع سنين أخرى وأزوجكها.. فعمل سبع سنين، وأدخلها عليه مع أختها.

ووهب "لابان" لكل واحدة من ابنتيه جارية، فوهب لـ"ليا" جارية اسمها "زلفى" ووهب لـ"راحيل" جارية اسمها "بلهي".

وجبر الله تعالى "ليا" بأن وهب لها أولاداً، فكان أول من ولدت لـ"يعقوب": "روبين" ثم "شمعون" ثم "لاوي" ثم "يهوذا"، فغارت عند ذلك "راحيل"، وكانت لا تحبل، فوهبت لـ"يعقوب" جاريتها "بلهى" فوطئها.. فحملت وولدت له غلاماً سمته "دان" وحملت غلاماً آخر سمته "نيفتالي"، فعمدت عند ذلك "ليا" فوهبت "زلفى" لـ"يعقوب" فولدت له: "جاد" و"أشير" غلامين ذكرين، ثم حملت "ليا" أيضاً، فولدت غلاماً خامساً وسمته "إيساخر"، ثم حملت وولدت غلاماً سادساً سمته "زبلون"، ثم حملت وولدت بنتاً سمتها "دينا" فصار لها سبعة من "يعقوب".

ثم دعت الله تعالى "راحيل" وسألته أن يهب لها غلاماً من "يعقوب"، فسمع الله نداءها وأجاب دعاءها، فحملت من نبي الله "يعقوب" فولدت غلاماً عظيماً شريفاً حسناً جميلاً سمته "يوسف" كل هذا وهم مقيمون بأرض "حران"، و"يعقوب" يرعى على خاله غنمه بعد دخوله على البنيتن ست سنين أخرى، فصارت مدة مقامه عشرين سنة.

فطلب "يعقوب" من خاله "لابان" أن يسرحه ليسير إلى أهله، فقال له خاله: "إني قد بورك لي بسببك فسلني من مالي ما شئت.. فقال: تعطيني كل حمل يولد من غنمك هذه السنة أبقع.. وكل حمل ملمع أبيض بسواد، وكل أملح ببياض، وكل أجلح أبيض من المعز، فقال: نعم، فعمد بنوه فأبرزوا من غنم أبيهم ما كان عليه هذه الصفات من التيوس – لئلا يولد شيء من الحملان على هذه الصفات، وساروا بها مسيرة ثلاثة أيام عن غنم أبيهم.

فعمد "يعقوب" إلى قضبان رطبة من لوز ولب.. فكان يقشرها بلقا وينصبها في مساقي الغنم من المياه، لتنظر إليها الغنم فتفزع وتتحرك أولادها في بطونها، فتصير ألوان حملانها كذلك.

فصار لـ "يعقوب" أغنام كثيرة ودواب وعبيد.. وتغير له وجه خاله وبنيه، وكأنهم انحصروا منه!

وأوحي الله تعالى إلى "يعقوب" أن يرجع إلى بلاد أبيه وقومه، ووعده بأن يكون معه، فعرض ذلك على أهله فأجابوه مبادرين إلى طاعته، فتحمل بأهله ورجاله، وسرقت "راحيل" أصنام أبيها فلما جاوزوا وتحيزوا عن بلادهم لحقهم "لابان" وقومه، فلما اجتمع "لابان" بـ"يعقوب" عاتبه في خروجه بغير علمه، وهلا أعلمه فيخرجهم في فرح ومزاهر وطبول، وحتى يودع بناته وأولادهن، ولم أخذوا أصنامه معهم؟ ولم يكن عند "يعقوب" علم من أصنامه.. فأنكر أن يكونوا أخذوا له أصناماً، فدخل بيوت بناته وإمائهن يفتش فلم يجد شيئاً.

وكانت "راحيل" قد جعلت الأصنام في بردعة الجمل وهي تحتها فلم تقم واعتذرت بأنها طامث.. "وقيل بل جعلتها عمته في حزام على بطن "يوسف" وهو

صغير ليكون في حضانتها.. وهذا ما ذكره القرآن الكرمي في قوله تعالى: { قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ } (يوسف:٧٧).

ومضي "يقعوب" – عليه السلام – بعد أن تعاهد وتواثق مع خاله "الابان" إلى فلسطين راجياً من الله تعالى أن يكف عنه شر أخيه "العيص" الذي خرج ليمنعه، وقدم بين يديه هدايا لأخيه "العيص"، ففعلت فعلها، فلما التقيا خضع له "يقعوب" وتذلل، فقبل منه "العيص" وسامحه، وتقدم أمامه حتى نزل "يعقوب" قبل "بيت المقدس" وابتني مذبحاً – معبداً – سماه "إيل".

ثم حملت "راحيل".. فلما كان أوان الوضع جهدت في طلقها جهداً شديداً ماتت عقبه، وقد وضعت غلاماً هو "بنيامين" أخا "يوسف" لأمه وهو أصغر أبناء "يعقوب" عليه السلام فدفنها "يعقوب" في "أفرات" – بيت لحم – وجعل على قبرها كوماً من الحجار وتعرف اليوم بقبر "راحيل" – أو قبة "راحيل" – وانتقل "يقعوب" إلى "حبرون"، حيث يقيم والده "إسحاق" – عليه السلام – ثم مرض "إسحاق" وتوفاه الله تعالى إليه، فدفنه ابناه "يعقوب" و"العيص" في نفس المغارة التي دفن فيها من قبل "إبراهيم" و"سارة".

زوجة يوسف عليه السلام

من هي؟ ومتى تزوج؟ وكم ولد له؟ ومن هم ذريته؟.. أسئلة اعترضت كثير من الباحثين في كتب السير أثناء التحقيق والبحث.. حتى وقفوا عند اسم زوجة أيوب عليه السلام وقد اختلف كتاب السير فيها فقالوا: ليا بنت يعقوب أو رحمة بنت أفراييم أو ليا بنت منشا ابن يوسف ابن يعقوب، ورجح ابن كثير رحمه الله الاسم الثالث لأنه أشهر.

إذاً.. تزوج يوسف عليه السلام.. ولكن بعد خلاصه من محنة السجن والتمكين له في السلطان..! وقصته عليه السلام أشهر من أن نكرر الحديث عن تفاصيلها وأدوارها، ولكنا يستخلص منها الدروس والعبر التالية:

١) نشأته على رفيع الأخلاق وسامي الصفات والصدق مع الله تعالى.

٢) كفه النفس عن شهواتها ومغرياتها.

٣) الإيمان بالمبدأ مهما كانت الصعاب.

٤) الالتجاء إلى الله تعالى في الملمات.

٥) إيثاره البراءة على الحرية الممنوحة.

٦) خلق الصبر الذي لفه طوال حياته كلها من أذى إخوته له.. إلى الجب الذي ألقي فيه.. إلى الخدمة عبداً في بيت العزيز.. إلى مراودة امرأة العزيز له ثم تماسكه وإبائه.. إلى ظلمة السجن ظلما.. إلى تحمل مسئولية السلطة بقوة وأمانة { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠)} (يوسف:٩٠).

وغيرها كثير..! والذي زوج يوسف عليه السلام هو الملك!

قالوا: وكان يوسف إذ ذاك ابن ثلاثين سنة وزوجه الملك امرأة عظيمة الشأن وحكى الثعلبي أن الملك عزل قطفير . العزيز . عن وظيفته وولاها "يوسف".

وقيل: إنه لما مات قطفير زوجه الملك امرأته زليخا. فوجدها عذراء لأن زوجها كان لا يأتي النساء، فولدت لـ"يوسف" عليه السلام رجلين هما "أفراييم" و"منشا".

رفقا بنت بتوئيل زوجة إسحاق عليه السلام

تزوجها إسحاق عليه السلام بعد وفاة أبيه بوصية منه، كانت زوجة لنبي وأما لنبي! زوجة لإسحاق وأما ليعقوب!

أما اسم إسحاق فكان تسمية من أمه "سارة" ولفظة بالعبرية: يتصحق ومعناه يضحك وقد أرادت سارة بذلك أن من يسمع بحملها له وهي عاقر وزوجها إبراهيم عليه السلام قد شاخ وهرم، لابد أن يضحك!! ليس سخرية، ولكن إعجاباً بقدرة الله تعالى.

لم يذكر القرآن الكريم شيئاً عن قصة زواج إسحاق من رفقة ولا ورد في السنة المطهرة ما يشير إلى ذلك، لكن المؤرخين وكتاب السير اعتمدوا رواية التوراة التي بأيدي الكتاب، وقد بينوا ذلك ونوردها لك عزيزي القارئ كما أوردوها.

وملخصها أن إبراهيم لما شاخ أتي بعبده المستولي على بيته (العازر)، وأحلفه على أنه لا يأخذ لابنه إسحاق زوجة من بنات الكنعانيين الموجودين في فلسطين!! ويأخذ له زوجة من عشيرته وبني أبيه وألا يرد ابنه إلى الأرض التي خرج هو منها، إذا تأبت عليه الزوجة وامتنعت من الانتقال.

فذهب ذلك العبد وهيأ ما يصلح أن يكون هدية للزوجة وأخذ من الجمال والأموال ما أحب وذهب إلى آرام وأناخ جماله خارج المدينة التي بها أسرة ناحور أخي إبراهيم وإذا بفتاة حسنة المظهر خرجت من المدينة وجرتها على كتفها فملأت الجرة.

فقال لها العبد: اسقيني فأنزلت الجرة وأعطته إياها ليشرب وقالت: استقي لجمالك أيضاً، فتفرس فيها إلى أن فرغ من سقي الجمال وحلي أنفها بخزامة من ذهب ويديها بسوارين من الذهب، بسوارين من الذهب، وسألها بنت من هي؟ وهل عند أبيها مكان لمبيته وجماله؟

فأخبرته بأنها بنت بتوئيل من ناحور وأن عندهم مبيتا وعلفا لماشيته وأسرعت إلى البيت وأخبرت بما رأت وكان اسم الفتاة: "رفقة" وقام لابان بن بتوئيل في الحال إلى حيث عبد إبراهيم وأضافه وأكرم مثواه.

وفي الحال أخبرهم عبد إبراهيم بما جاء لأجله وأنه يريد رفقة لابن سيده فأجابوه إلى ما طلب.

وأعطاها آنية من ذهب وفضة وثياباً وتحفا لأخيها وأمها، ثم طلب إليهم أن ينصرفوا سريعاً ووافقته رفقة على التعجيل بالمسير فذهب بها إلى ديار سيده.

وكانت عزاء لـ"إسحاق" بعد موت أمه سارة، ومن خلال استقراء حياة إسحاق عليه السلام فإنا نجد أنه لم يكن له دور ملاحظ سوى إرث النبوة بعد أبيه إبراهيم ثم قيامه على هذا الإرث خير قيام ثم إنجابه ليعقوب عليه السلام.

حملت رفقة من إسحاق عليه السلام ثم ولدت توأمين ذكرين تقول رواية التوراة عن ذلك: إن إسحاق لما تزوج رفقا بنت بتوئيل في حياة أبيه كان عمره أربعين سنة وأنها كانت عاقراً فدعا الله لها فحلت، فولدت غلامين توأمين أولهما عيصو وهو الذي تسميه العرب العيص وهو والد الروم والثاني خرج وهو آخذ بعقب أخيه فسموه يعقوب وهو إسرائيل والذي ينسب إليه بنو إسرائيل.

وكان إسحاق يحب العيصو أكثر من يعقوب لأنه بكره..! وكانت أمهما رفقة تحب يعقوب أكثر لأنه الأصغر!! فلما كبر إسحاق وضعف بصره اشتهى على ابنه العيص طعاما وأمره أن يذهب فيصطاد له صيداً ويطبخه له ليبارك عليه ويدعو له وكان العيص صاحب صيد فذهب يبتغي ذلك، فأمرت رفقة ابنها يعقوب أن يذبخ جديين من خيار غنمه ويصنع منهما طعاماً كما اشتهاه أبوه، ويأتي إليه به قبل أخيه ليدعو له فقامت فألبسته ثياب أخيه، وجعلت على ذراعيه وعنقه من جلد الجديين لأن: العيص كان أشعر الجسد ويعقوب ليس كذلك.

فلما جاء به وقربه إليه قال من أنت؟ قال: ولدك فضمه إليه وجسه وجعل يقول: أما الصوت فصوت يعقوب وأما الجسد والثياب ف"العيص".

فلما أكل وفرغ دعا له أن يكون أكبر إخوته قدراً وكلمته عليهم وعلى الشعوب بعده، وأن يكثر رزقه وولده فلما خرج من عنده جاء أخوه العيص بما أمره به والده فقربه إليه فقال له: ما هذا يابني؟ قال: هذا الطعام الذي اشتهيته! فقال أما جئتني به قبل الساعة وأكلت منه ودعوت لك؟ فقال: لا والله!

وعرف أن أخاه قد سبقه إلى ذلك، فوجد في نفسه عليه وجداً كثيرا.. وذكروا أنه توعده بالقتل إذا مات أبوهما وسأل أباه فدعا له بدعوات أخرى، وأن يجعل لذريته غليظ الأرض وأن يكثر أرزاقهم وثمارهم.

فلما سمعت أمهما رفقة ما يتوعد به العيص أخاه يعقوب أمرت ابنها يعقوب أن يذهب إلى أخيها لابان بأرض حران، وأن يكون عنده إلى حين يسكن غضب أخيه عليه وأن يتزوج من بناته، وقالت لزوجها إسحاق أن يأمر بذلك ويوصيه ويدعو له.

خرج يعقوب إلى حران هارباً! وبقي لبعيص في فلسطين إلى جانب أبيه إسحاق وأمة رفقة وكان ولاث السلطان عن أبيه واجتمع له المال الكثير.. والعبيد.. والمواشي.. والنفوذ على الناس!!

ولقد عاشت رفقة دهراً.. إلى أن ابتعث الله تعالى يعقوب نبياً ورسولاً عاد من أرض حران إلى فلسطين بأزواجه وإمائه وأولاده في حشد عظيم.. واصطلح مع أخيه "العيص"!

ولم تذكر كتب التاريخ متي كانت وفاتها وأين دفنت على التحديد؟!

امرأة سيدنا يعقوب

في حياة نساء الأنبياء عليهم السلام نلتقي بإحدى النساء التي كانت لها القدوة الحسنة في فضيلة الصبر وفضيلة الإيمان والتسليم.

هذه المرأة العظيمة هي زوجة لحفيد "إبراهيم" عليه السلام وزوجها هو النبي الكريم الذي بشر به ملائكة الرحمن جده الخليل "إبراهيم" وجدته الصديقة العابدة "سارة" عليهم السلام جميعا، وهو النبي ابن النبي ابن النبي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن، وفي يعقوب وأبيه يقول القرآن الكريم: "ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا". (الانعام :٨٤)

ووصفه الرسول بالكريم ابن الكريم وهو أبو الكريم، يقصد سيدنا يوسف، حيث يقول محمد ﷺ، واصفًا سيدنا يوسف: الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

أما زوجة يعقوب "راحيل" بنت لابان وهي ابنة خال يعقوب عليه السلام، وهي أم النبي الكريم "يوسف".

وفي قصة زواج سيدنا يعقوب منها أنه عمل لدي خاله سبع سنين على أن يزوجه بها دون أختها الكبري "ليا" ولكنه فوجئ بأنه تزوج من أختها "ليا" فعمل سبعاً أخرى، على أن يتزوجها وتم له الزواج وأنجب منها "يوسف وبنيامين" فقط بالرغم من أنه رزق من أختها "ليا" وجاريتين "لليا" و"راحيل" ببقية أبنائه الاثني عشر وهم الأسباط، ولكن النبوة كانت "ليوسف" "ابن راحيل".

وقد حباها الله بهذا النصر العظيم ليكون ولدها النبي دون إخوته ولأنها صبرت على فراقه سنين مؤمنة بقضاء الله كذلك صبرت على فراق بنيامين ابنها الثاني فهي حرمت فترة من ولديها دون أختها والجاريتين بسبب تآمر عظيم مؤلم دون أن تتذمر أو تفقد إيمانها بربها ورحمته.. وهي مؤهلة لذلك دون أختها لأنه حين أراد سيدنا يعقوب عليه السلام الرحيل بأهله من أرض العراق إلى فلسطين كانت "راحيل" تؤمن بالله عز وجل وتعبده مع زوجها يعقوب.

كانت تكره الأصنام التي كانت منتشرة منذ سنين في بلاد أبيها، وودت لو تستطيع تحطيمها فأخذت أصنام أبيها لتقذف بها في مكان بعيد، ولم يشعر أحد بما صنعت ولما علم أبوها برحيل واختفاء أصنامه لحقهم ليودعهم، وسأل عن الأصنام وفتش القوم جميعا إلا هي فقد وضعتهم تحتها على الجمل الذي كانت تركبه ولم تقم من مكانها وادعت مرضها وكان مصير الأصنام إلى الدمار وبهذه الطريقة استطاعت راحيل أن تزيل الأصنام من بيت أبيها وتريح الناس من سوء منظرها.

جاء يعقوب إلى أبيه إسحاق – عليهما السلام – فأقام عنده في قرية "حبرون" في أرض كنعان، حيث كان يسكن "إبراهيم" وفيها قبره واسمها الخليل الآن أما يوسف وأخوه بينامين فقد حملت بهما راحيل في الأرض الجديدة وولدت يوسف هناك، وهو أحب الأبناء إلى يعقوب الذي أخبره برؤياه وعن هذه الرؤيا يقول الله تعالى: { إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)} (يوسف: ٤)

وقد تكلم المفسرون عن تعبير هذه الرؤية فقال بعضهم: إن أحد عشر كوكباً عبارة عن إخوته وكانوا أحد عشر رجلاً كما قالوا إن الشمس هي "راحيل" وأما القمر فهو "يعقوب" عليه السلام.

قال بن جريج: القمر أبوه والشمس أمه لأن الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكانت مأساة "يوسف" واختفائه ثم احتجاز الابن الثاني "بنيامين" بمصر وما أصاب أباهما من حزن من أقسى الأمور عليه حتى وصل به الأمر إلى العمى، فكيف كانت حالة الأم التي فقدت ابنيها دون بقية الإخوة من أبناء يعقوب؟

كيف كان حالها؟ وكيف صبرت على مصابها؟ لقد كان هذا المصاب أليماً أشد الألم ولكنها صبرت عليه مؤمنة بقضاء الله بل إنه كان في جانب من جوانبه تكريماً لها ولأمومتها، حيث كرمها الله سبحانه فجعل ابنها المفقود الأول النبي المطاع والحاكم العظيم، وأشار القرآن الكريم بذلك "ورفع أبويه على العرش" فدل على أنها كرمت هي وزوجها إلى درجة الملوك الجالسين على العروش فقد أصبحت أم ملك من أعظم ملوك الأرض لم تنس أنها زوج نبي، وظلت شاكرة عابدة لما أنعم الله عليها وعلي زوجها وابنها من فضل وجمع شمل بعد مدة طويلة وبعد يأس من الاجتماع رأت حسن عاقبة الصبر في الدنيا، وما أعد لها من إكرام ولدها الذي اختصه الله عز وجل بالنبوة دون إخوته.

وتابعت "راحيل" حياتها في كنف ولدها "يوسف" إلى أن لقيت ربها راضية مرضية ودفنت مع "يعقوب" في مقبرة بالخليل فبعد موتها بمصر نقلها سيدنا "يوسف" إلى مقبرة الخليل حيث دفنت.

ويروي أنه عندما بلغ سيدنا يعقوب سن الزواج، أشار عليه أبواه أن يتوجه إلى خاله (لابان) في أرض (حران) بالعراق ويخطب إحدى ابنتيه، فقد آمنتا بدين

إبراهيم عليه السلام. فانطلق يعقوب عليه السلام إلى مسقط رأسه في بلاد المقدس وتوجه نحو العراق، ولما قدم يعقوب على خاله في أرض حران، وجد له إبنتان وهما: (ليا) وهي الكبري، و"راحيل" وهي الصغري.

وكانت "راحيل" قد أوتيت حظا من الذكاء والصفاء والنقاء، وكانت تفوق أختها (ليا) في الحسن فتقدم يعقوب عليه السلام إلى خاله وخطب منه ابنته "راحيل" وسأله خاله: هل لك من مال أزوجك عليه ابنتي "راحيل".

فقال يعقوب: لا يا خالي، إنني غريب هنا كما تعلم ولكنني مستعد لما تطلب مني. وتابع قائلا: يا خالي إن شئت أن تأخذني أجيرا حتى تستوفي صداق ابنتك "راحيل" سفأنا على استعداد لذلك. وعندئذ قال له خاله وقد ظهرت عليه أمارات الرضا: قبلت، وأن صداق "راحيل" أن تأجرني (٧) سنين. فقال يعقوب: قبلت، فزوجني "راحيل" وهي شرطي، ولك أن أخدمك (٧) حجج... وأجاب لابان يعقوب على شرطه. عندئذ قال يعقوب: ذلك بيني وبينك.

وأخذ يرعى يعقوب لخاله سبعة أعوام كوامل، فلما وفي لخاله شرطه الذي اتفقا عليه، صنع خاله لابان طعاما من أجل الزفاف وجمع الناس عليه. وأقبل ليل ذلك اليوم، ودخل يعقوب خيمته، فألفي فيها زوجه، فلما تنفس الصبح، وأشرقت الأرض بنور ربها، وجد أن خاله قد زوجه ابنته الكبري (ليا)، بينما كان الشرط بينهما أن يزوجه صغراهما "راحيل".

فقال يعقوب: لا حول ولا قوة إلا بالله. وجاء لخاله لابان غاضبا فقال له: لقد غدرت بي، ولقد غدرتني وخدعتني واستحللت فعلي سبع سنين، وليس على

غير امرأتي، وإنما خطبت إليك "راحيل"، ولم أخطب ليا... أليس كذلك؟! فقال خاله: رويدك يا ابن أختي، فأنا لم أخدعك، إنه ليس من عادتنا في هذه البلاد أن نزوج الصغري قبل الكبرى، وهل تريد أن تدخل على خالك العار والسبة بهذه الفعلة؟ قال يعقوب: معاذ الله..فقال خاله: إن أحببت "راحيل" أن تكون زوجة لك فاعمل لي (٧) أعوام أخرى.

وانقضت سبع سنين، ولد ليعقوب خلالها بضعة أولاد من زوجه "ليا"، وجاء اليوم الذي ينتظره يعقوب ورأى ليلة تحقيق حلمه ليقترن بتلك المرأة التي ستكون أم نبي ورسول كريم وزوج نبي ورسول كريم.

وزفت إليه "راحيل" وكان إذ ذاك سائغا وجائزا في ملتهم زواج الأختين على ما يبدو، ثم نسخ ذلك فيما بعد في شريعة التوراة. ولبعض المفسرين رأي وهو أنه لما توفيت "ليا"، تزوج يعقوب "راحيل"س.

وهب (لابان) لكل واحدة من ابنتيه جارية، فوهب إلى ابنته الكبرى "ليا" جارية اسمها (زلفى)، ووهب للصغري "راحيل" جارية اسمها (بلهى). ولم تنجب "راحيل" في بداية زواجها من يعقوب، وتأخر عليها الولد، ورأت أن أختها "ليا" قد أنجبت أربعة أولاد، وكات الغيرة تلعب بها عندما نذرت أن تهب لزوجها يعقوب جاريتها (بلهى)، ويبدو أن "ليا" قد وهبت له جاريتها (زلفى) منافسة لأختها "راحيل"، وولدت كل واحدة من الجاريتين ليعقوب.

ولما رأت "راحيل" أن أختها "ليا" والجاريتين (زلفى) و(بلهى) قد ولدت لزوجها يعقوب ولم تلد هي، توجهت إلى الله بجوارحها وقلبها، ودعته أن يهب

لها غلاما زكيا من يعقوب. واستجاب الله عز وجل دعاء "راحيل" وأجاب نداءها، ورحم ضعفها، وأكرمها، فحملت من نبي الله يعقوب، ثم ولد له غلاما عظيما شريفا حسنا جميلا مخلصا سمته يوسف، وكان يوسف عليه السلام أشبه الناس بجدته لأبيه سارة زوج إبراهيم عليه السلام، ولذا فقد كان أحب أبناء يعقوب إلى قلبه.

ظلت "راحيل" مع زوجها يعقوب قرابة عشرين سنة وهم مقيمون في أرض العراق، وكانت "راحيل" تؤمن بالله عز وجل وتعبده مع زوجها يعقوب، وكانت فكرة الأصنام منتشرة في بلاد أبيها، وودت لو استطاعت تحطيم جميع تلك الأصنام التي أضلت كثيرا من الناس، وجرتهم إلى طريق الغواية، وأبعدتهم عن طريق الرشاد.

أوحى الله عز وجل إلى يعقوب أن يرجع إلى بلاد أبيه وقومه في بلاد المقدس ويترك أرض حران في العراق. وهمس يعقوب إلى أهله وأولاده بما أوصاه ربه، فامتثل جميعهم لأمره، وأجابوه مبادرين إلى طاعته، وفي مقدمتهم "راحيل".

عندئذ حمل يعقوب أهله وماله وانطلق نحو بلاد أبيه، بينما أخذت "راحيل" أصنام أبيها إلى مكان بعيد لتلقي بهم في أحد الأنهار، ولم يشعر أحد بما صنعت "راحيل".

وجاء يعقوب إلى أبيه إسحاق – عليهما السلام– فأقام عنده في قرية (حيرون) في أرض كنعان، حيث كان يسكن إبراهيم عليه السلام وهي مدينة

الخليل، وهناك في أرض حيرون حملت "راحيل" فولدت غلاما هو بنيامين وهو شقيق يوسف عليه السلام. وكان يوسف وأخوه أحب إلى يعقوب من سائر إخوته.

"راحيل" ورؤيا يوسف :

قص يوسف على أبيه ما رآه في الرؤيا، وكان في نبرات يوسف لهجة مميزة جعلت يعقوب يضمه إلى صدره ويحتويه في حضنه كأنما يحميه من خطر يوشك أن ينقض عليه، إذ لاحظ في إخوته الأحد عشر كراهية ليوسف، بيد أن يوسف لم يكن يعرف شيئا عن هذا، وإنما أخبر والده بالرؤيا لأنه علم بإلهام رباني أو بتعليم سابق من أبيه أن للرؤيا تعبيرا.. وعلم أن الكواكب والشمس والقمر كناية عن مخلوقات شريفة، وأن المخلوقات الشريفة كناية عن عظم شأنه وعلو مكانته وسمو كرامته.

لذا تعد "راحيل" واحدة من نساء الأنبياء اللاتي سجل التاريخ مواقفها العطرة في مجالات خيرة متعددة، فقد كانت خير امرأة في كل موقف، كانت مثال الزوجة الوفية، ومثال الأم العطوف، ومثال العابدة الشاكرة والصابرة المؤمنة. ويبدو أن شهرتها انطلقت من شهرة ابنها يوسف عليه السلام ولما حدث له وقصته شائعة عظيمة. كانت "راحيل" خلال أحداثها مسلمة مستسلمة لقضاء الله مع زوجها يعقوب، بل وابنها يوسف.

وأصبحت "راحيل" أم ملك هو أعظم ملوك الأرض، ولكنها لم تنس أنها زوج نبي وأم نبي، وظلت شاكرة عابدة لما أنعم الله به عليها وعلي زوجها وابنها من فضل، وجمع شملهم بعد مدة طويلة، بل ويأس من الاجتماع، ورأت حسن

عاقبة الصبر في الدنيا، وما أعد الله لها من إكرام في ولدها الذي اختصه الله عزل وجل بالنبوة.

زوج زكريا عليه السلام

كان زكريا رئيس الهيكل اليهودي من ذرية هارون الذين صارت إليهم سدانة الهيكل، وكان شيخاً وزوجه أخت أم مريم، وقد كفل مريم وعندما رآها في المحراب تحركت تلك الرغبة الفطرية القوية في نفس البشرية الراغبة في الذرية وفي الامتداد وفي الخلف تلك الرغبة التي لا تموت حتى في نفوس العباد والزهاد الذين وهبوا أنفسهم للعبادة، وعن هذا العابد يقول القرآن الكريم: {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨)} (آل عمران:٣٨). فما الذي كان من هذا الدعاء الخاشع الحاد المنيب؟

كانت الاستجابة التي لا تتقيد بسن ولا بمألوف الناس لأنها تنطلق من المشيئة المطلقة التي تفعل ما تريد، إن ما حدث من استجابة يحمل مظهراً من مظاهر طلاقة المشيئة الإلهية هو زكريا الشيخ الكبير وزوجه العاقر التي لم تلد في صباها.

يناجي ربه طالباً الولد وكانت امرأته "اليصابات أو اليشاع" المؤمنة كريمة المنبت طاهرة الأصول نشأت في حجر الفضيلة، وعاشت عيشة الطهر والنزاهة وصلت ليلها بنهارها في طاعة الله فاختصها الله بمكرمة عظيمة رفعتها عاليا في سماء ا لأبرار وأخرج منها نبياً من الصالحين.

ويقول المولى عز وجل في وصفه الذي منحه الله إياه: {وكان تقياً وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً} (مريم: ١٣ و١٤). وهذه المرأة أيضا هي خالة مريم أم عيسي عليه السلام، فهي إذن خالة نبي من المقربين، هكذا كانت هذه المرأة

الطاهرة من النسوة اللاتي عقدن مع الفضيلة عروة لا انفصام لها فقد كانت تسارع إلى كل مكرمة وكل خير وكل فضيلة اقتداء بزوجها زكريا وحباً لرحمة الله تعالى، وقد أثنى الله عز وجل على هذا البيت ذي الدعائم الثلاث.. زكريا وزوجه ويحيي ابنيهما وذكر فضلهم وأبان كرامتهم، وذلك بحبهم للخير ودعاء الله في السر والعلانية والخشوع في العبادة.

وعندما نادى زكريا ربه قال: " قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا. وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ". (مريم: ٤ ، ٥، ٦)

استجاب الله دعاءه وكانت البشرى، ويمكن أن يتخيل زوج زكريا وابتسامة الرضا على شفتيها، حيث كان قلبها موصولا بالله فكانت الاستجابة سريعة وكان التبشير بها بواسطة الملائكة الكرام قال تعالى: {إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى} (مريم: ٧).

ولنا أن نتصور ذلك الموقف العظيم لزكريا وزوجه من السعادة والرضا، خاصة أنهما بشرا "بغلام اسمه يحيي لم نجعل له من قبل سميا"(مريم: ٧).

روي عن ابن عباس رضي الله عنه في التعليق على هذا أنه قال: "وإنما سمي يحيى، لأن الله أحيا به عقر أمه". وعن قتادة رحمه الله – أنه سمي بذلك، لأنه أحيا قلبه بالإيمان والله أعلم.

والأرجح في الظن هو القول الأول تأكيدا لكلام الله تعالى: {فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه}.

أي أن الله جعلها مهيأة للحمل وإن كانت عاقراً وكبيرة في السن وذلك لتعين زوجها على أمر الدعوة قال القرطبي – رحمه الله– جعلت حسنة الخلق ولوداً ولاشك أن زوج زكريا كانت أشد فرحاً من زوجها عندما عرفت حقيقة البشارة الإلهية التي تحمل إليها أعز شيء لدى المرأة ألا وهو الأمومة ووقفت أمام القدرة الإلهية متعجبة من رحمته، وكان تعجبها بالشكر والثناء على الله والتسبيح بحمده. وهكذا تمت كلمة الله عز وجل وولدت زوج زكريا ابنها يحيى وكان ميلاده معجزة لكبر سن أبيه وأمه حتى يئسا من الإنجاب ومما زاد الله زوج زكريا كرامة وصف ابنها يحيي بما تحلي به من صفات عظيمة وجعله ذا حنان وذكاء وتقوى وبرا بالوالدين ومتواضعا بعيدا عن التعالي والتجبر.

وكانت زوجة زكريا وزكريا وابنهما يحيي في طاعة الله عز وجل يتسابقون إليها والسبق المحمود في هذه الفضيلة والمسارعة في الفضائل من أجمل ما يمتدح به الإنسان، لأنه يدل على حرص عظيم على رضا الله، وقد وصف الله هذا البيت المبارك بقوله: "إنهم كانوا يسارعون في الخيرات".

إن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يكرم إنسانا أكرمه في ولده ولم يكرم نبي في ولده قدر زكريا وزوجه فقد وصفه به قبل مجيئه بصفات عظيمة أصبحت واقعا رائعاً بعد مجيئه، وهذا تكريم كبير لهذه الزوجة المطيعة المؤمنة بالله والمسارعة إلى الخير والبارة بالناس والمساندة لزوجها في دعواه بكل كيانها وجدها وهي الأم العظيمة زوجها النبي العظيم وهي أم النبي العظيم المتوج من ربه بصفات قلت في مثله هذه الصفات عرفناها فيه قبل مجيئه، لكنه لا يتصور أن يتصف إنسان بشيء من صفات مثل هذه من أم لا تتمتع بها فهي في الأرض التي أنبتت

هذا النبات الخصب الرائع وكان من أجمل الصفات أنه كان كما جاء في القرآن الكريم: {وبرا بوالديه ولم يكن جباراً عصياً} (مريم : ١٤).

ومن فضل الله على هذه المرأة الطيبة أنه جعلها تطمئن على ابنها حتى قبل مولده حين قال عز وجل من قائل: "وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً".

قال سفيان بن عيينة – رحمه الله – أوحش ما يكون المرء في ثلاثة مواطن يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوماً ما لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيجد نفسه في محشر عظيم فأكرم الله فيها يحيي بن زكريا فخصه بالسلام عليه، وقد ذكر الطبري عن الحسن أن عيسي ويحيي التقيا وهما ابنا الخالة، فقال يحيي لعيسى: ادع لي فأنت خير مني، فقال له عيسى: بل أنت ادع الله لي فأنت خير مني سلم الله عليك وأنا سلمت على نفسي.

هذا هو ابن اليشاع طمأنها ربها عليه في مولده وحياته ومماته حتى تهدأ لما أصابها في حياتها بعد ذلك من استشهاده وأبيه بيد هيروديا زوج هيردوس حاكم اليهود بفلسطين من قبل الرومان، وكان قد تزوج من امرأة أخيه وهو على قيد الحياة، وأنكر يحيي هذا الزواج لأن الديانة اليهودية تحرم أن يتزوج أحد من امرأة أخيه وهو حي ودبرت هيروديا مكيدة فظيعة أتمتها ابنتها "سالومي" فقتل يحيي ثم قتل أبوه بعد ذلك بأمر المرأة الملعونة.

هذه هي الزوجة والأم الصابرة المؤمنة التقية أولا وأخيرا أكرمها ربها في حياتها ومنحها الصبر في نهاية حياة زوجها وابنها فكانت نموذجاً رائعاً للزوجة المؤمنة الشاكرة لعطائه والصابرة على بلائه.

زوجات سيدنا محمد
صلى اللّه عليه وسلم

خديجة بنت خويلد سيدة نساء العالمين

أمهات المؤمنين سيدات لهن مكانة خاصة في نفوس المسلمين والمسلمات، فحياتهم ارتبطت بحياة الرسول الكريم ﷺ فكانت هذه الحياة دروساً وعبراً وتعاليم، فهذه خديجة تلك السيدة العظيمة التي آمنت بالإسلام وساندت الرسول ودافعت عنه وآزرته.

تزوج النبي السيدة خديجة وهو ابن الخامسة والعشرين بكراً لم يتزوج من قبل، فيما كانت السيدة خديجة أربعين سنة أرملة سبق لها الإنجاب، وانتقل النبي إلى الإقامة في بيت خديجة ومن هذا المنزل تنطلق الرحلة الإيمانية لنبي الأمة.

عاش الرسول الكريم شبابه عفيفاً طاهراً لاتشغله النساء ولا أمرهن، كان عازفاً عن متع الدنيا حتى وصل عمره إلى الخامسة والعشرين فانتقل مبكراً إلى الحياة مع سيدة تكبره بخمسة عشر عاماً وعاش معها حياة هادئة مستقرة مليئة بالحب والمودة والسكينة والذرية.

وطوال (٢٥ عاماً) لم يتزوج عليها ولم يسمح للضرة بأن تنغص حياة خديجة التي هي أم الإسلام والمسلمين، على الرغم من عدم وجود مانع من عادة أو حتى دين، فالتعدد كان مألوفاً بين العرب ومعروفاً في ديانة أبي الأنبياء إبراهيم، إلا أنه – عليه الصلاة والسلام– ظل مكتفياً بالسيدة التي ارتاح لها فؤاده واطمأنت نفسه إلى صحبتها.

ولما توفيت السيدة خديجة، وكان النبي قد تجاوز الخمسين واتسعت رقعة الدولة الإسلامية جاءت من تقول له: "تزوج يارسول الله". لم يكن الهدف الزواج،

لأن الرسول الكريم الذي لم يسترح يوماً من عناء الكفاح الموصول والجهاد المضني كان قد عزف عن حياة المتع وهو شاب فكيف يهتم بها وهو على أبواب الستين؟

لقد ظل "زوجاً لواحدة طوال (٢٥ عاماً) وخلال شبابه ثم عدد الزوجات في السنوات العشر الأخيرة من حياته الشريفة.

كانت حياة النبي مع أم المؤمنين خديجة حياة سعيدة حقاً ترفرف على جوانبها السكينة والمحبة والهدوء، لقد وفرت السيدة خديجة – رضي الله عنها – للنبي جواً صافياً لكي يستكمل مهمته الإيمانية في صفاء وخلو بال.

كانت على درجة عالية من السماحة والأخلاق والعقيدة الصافية ذات تدين وحياء، تنكر ما كانت عليه قريش وقبائل العرب من عبادة الأصنام والأوثان التي عرفت من ورقة بن نوفل أنها لا تضر ولا تنفع، وأنها تخالف ما في الحنيفة الأولى التي كان عليها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، كما تخالف ما ورد في التوراة والانجيل من التوحيد الخالص، فهي ترقب مع ورقة ظهور نبي آخر الزمان الذي بشرت به التوراة والإنجيل.

وكانت السيدة خديجة ذات شرف ومال كثير يعمل الرجال في تجارتها ومالها وتضاربهم عليه بنسبة تجعلها لهم من أرباحها، وجاء خزيمة ابن عم السيدة "خديجة"، وكان يعرف النبي ﷺ ولمس فيه فطنة وأمانة في مناسبات عديدة وفي قيامه بتجارة العديد من التجار الآخرين، فعرض على السيدة خديجة أن تستعين به في أعمالها التجارية وتهيأت تجارة "خديجة" لرحلة تاريخية إلى البصرة بالشام فأسندت أمر إدارة قافلتها إلى محمد لما ذاع عنه من حلو الشمائل والأمانة.

وقاد "محمد" تجارة خديجة إلى الشام بصحبة غلام يقال له ميسرة وباع واشتري وربح وغنم، وعاد إلى مكة وراح ميسرة ليخبر خديجة بأمانة "محمد" وطهارته، ويمن طائره، وما رآه معه من البركة في كثرة الأرباح حزمت خديجة أمرها وأرسلت إلى الأمين محمد صديقتها نفيسة بنت أمية التميمية لكي تحدثه في أمر الزواج منها، فوافق ويتوجه إلى بيتها خاطباً فتلقته بالترحاب وهتقول له: "يا ابن عم" إني رغبت فيك لقرابتك وسلطتك على قومك، وحسن خلقك وصدق حديثك، وينتهي حديثهما بتحديد يوم تلتقي فيه الأسرتان النبي وأهله وخديجة وأهلها.

وتزوج محمد ﷺ السيدة خديجة وهو ابن الخامسة والعشرين بكراً لم يتزوج من قبل فيما كانت السيدة خديجة ابنة أربعين سنة وأرملة، وسبق لها الزواج والإنجاب، وانتقل النبي ﷺ إلى الإقامة في بيت خديجة، ومن هذا المنزل تنطلق الرحلة الإيمانية لنبي هذه الأمة.

كفته السيدة خديجة بمالهما فلم يعد يعمل لدى أحد، ولم تشغله بنفسها ولا بمطالبها، وحملت عنه مسئولية البيت ولم تشغله بشيء آخر وأغنته عن طلب المعاش، وخلا إلى ربه يتأمل ويتعرف على شريعة إبراهيم في غار حراء سيراً على درب جده عبد المطلب الذي كان إذا نوي الخلوة والتعبد صعد حراء وأطعم المساكين ثم تبعه بعد ذلك من كان يتعبد كورقة بن نوفل وأبي أمية بن المغيرة.

وتبلورت الروح الإيمانية الصافية للنبي الكريم فكان لا يرى رؤيا إلا تحققت كفلق الصبح، فرقت النفس وصفرت في الخلوة المحمدية التي كانت تستمر

شهراً في السنة، وكلما عاد النبي إلى خديجة من حراء شجعته وزودته بكل ما يحتاج إليه من صبر وصدق وثقة.

كان الرسول متفرغاً تماماً لعبادته ولخلوته فلم تذكر كتب السيرة أو السنة أن النبي طيلة زواجه بالسيدة خديجة كان يخسف نعله ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويوقد سراجه أو يقوم بأي عمل من أعمال المنزل كما حدث بعد وفاة السيدة خديجة وزواج النبي بأخريات، حيث كان في خدمة أهله.

عاش النبي الكريم (٢٥ عاماً) مع خديجة في رغد من العيش وخلو بال لم تعكر صفوه هموم الأبناء أو مكائد الضرائر أو حتى انشغاله بترتيب فراش نومه كما حدث بعد ذلك عندما دخلت إحدى أمهات المؤمنين لترتيب فراشه فتأخر عن الصلاة.

كان الرسول الكريم قد بدأ يعتمد على نفسه في كثير من أموره الشخصية بعد وفاة خديجة، ومنها إعداد فراش نومه وحلب شاته وخدمة نفسه.. تقول بعض الروايات: إن النبي كان يقوم بغشل ملابسه وهي صورة من صور التواضع النبوي تدل على حال نبينا وهو زوج لواحدة، وحاله وهو زوج لتسع.

واستمر النبي يتعبد ويخلو بربه في غار حراء وخديجة من خلفه تزوده بمالها وحبها فكانت نعم الزوجة ونعم الرفيق ونعم الوزير والمشير، وقد حفظ لها هذا فلم تجتمع مع خديجة امرأة أخرى.

كانت السيدة خديجة للزوج اليتيم أما، وللنبي مصدقة ومؤازرة بكل ما تملك، ويقول ابن إسحاق: كان الرسول لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه

وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرجت عنه وإذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت رضي الله عنها.

كان النبي ﷺ يواجه المشركين متسلحاً بحب وتصديق "خديجة" المرأة الوحيدة التي توافرت فيها كل صفات النساء الطيبة.. تريح عن قلبه الهموم وتذهب عن صدره الأحزان، ولكنها – رضي الله عنها– لم تسلم من أذى الكفار، ولم تنج من شرور المشركين، بل نالت من عنتهم حظها، وأخذت من شرورهم نصيبها فدخلت مع المسلمين حصار شعب أبي طالب وطالت مدة قاطعة قريش للمسلمين وإلى ثلاث سنوات وتأثرت صحة السيدة "خديجة" الثرية المترفة، لكنها وقفت بجوار زوجها ونبيها تفيض عليه حناناً وحباً لا تشكو ولا تتبرم رغم تقدم سنها، ولم تنظر النبي إلى امرأة أخرى ليتزوجها بحجة كبر سن السيدة خديجة أو مرضها أو احتياجه لمن يرعى الصغار، بل ظل محافظاً على عهده معها حتى النهاية.

وبعد عودتها إلى منزلها وبعد وفاة أبي طالب بأيام جاء الأجل للسيدة خديجة ودخل عليها النبي وهي في اللحظات الأخيرة، وقال: أما علمت يا خديجة أن الله زوجني معك في الجنة "مريم بنت عمران"، و"كلثم أخت موسى" و"آسية امرأة فرعون".. فقالت: وقد فعل ذلك يارسول الله؟ قال: نعم قالت: بالرفاء والبنين، ثم أعاد النبي تبشيرها ببيت في الجنة من لؤلؤ لاصراخ فيه ولا تعب.

وأسلمت السيدة خديجة الروح على صدر زوجها وكان ذلك في رمضان في السنة العاشرة للبعثة، فبكاها النبي كما لم يبك على أحداً أبداً وتولت غسلها أم

أيمن.. مولاة النبي، وأم الفضل زوجة عمه العباس، ونزل النبي ﷺ في قبرها، ولم تكن قد سنت الصلاة على الموتى بعد ودفنت بمدافن أهلها بالحجن.

هل كان النبي يحب خديجة مثلما كانت تحبه؟ لقد أجمعت كل كتب السيرة والسنة على أن الرسول الكريم لم يحب امرأة في حياته مثل حبه لخديجة، فلم يتزوج عليها حتى ماتت وكان يبالغ في تعظيمها حتى أن السيدة عائشة كانت تغار وتقول: كان رسول الله إذا ذكر "خديجة" لم يكن يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها، فذكرها ذات يوم فاحتملتني الغيرة، فقلت: هل كانت إلا عجوزاً قد أخلف الله لك خيراً منها، فغضب النبي حتى اهتز مقدم شعره من الغضب وقال: ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ ا حرمني الناس، ورزقي أولادها إذ حرمني أولاد النساء.

ويضيف الرسول الوفي للمرأة التي ناصرته ووقفت بجواره قائلاً: "إني قد رزقت حبها، وخير نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران، ابنة مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ووفاء منه للراحلة الكريمة السيدة خديجة كان يذبح الشاة فيتبع بها صديقات خديجة فيهديها لهن".

وقد أكرمها الله بأن جعل كل أولاد النبي وبناته منها – عدا ابنه إبراهيم فكان من مارية المصرية – فقد أنجبت للنبي ولدين وأربع بنات هم القاسم وبه كان يكنى وعاش القاسم حتى مشي ومات، وعبد الله ولد بعد البعثة وكان يلقب بالطيب والظاهر ثم أنجبت زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة الزهراء.

أم المؤمنين حفصة بنت عمر حارسة القرآن

هي إحدى زوجات النبي محمد ﷺ والدها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأمها زينب بنت مظعون أخت الصحابي الجليل عثمان بن مظعون وأخوها لأبيها عبد الله ابن عمر الصحابي الجليل، ولدت رضي الله عنها بمكة قبل البعثة بخمس سنوات حين كانت قريش تجدد بناء الكعبة وكانت زوجه لخنيس بن حافة السهمي البدري، وقد أصابته جراح يوم بدر مات متأثرا بها بالمدينة، وقد كان رضي الله عنه من أصحاب الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة.

كانت السيدة حفصة قد ترملت في الثامنة عشرة من عمرها فتألم أبوها عمر لحالها فبدا له أن يختار لها زوجا ووقع اختياره على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فسعى إليه وعرض عليه ان يتزوجها، لكن أبا بكر لم يجبه ثم ذهب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكانت زوجته السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ قد توفيت فاستمهل عثمان صاحبه أياما ثم أوضح له أنه لا يريد الزواج الآن فحزن عمر رضي الله عنه، وذهب إلى رسول الله يشكو صاحبيه، فتبسم رسول الله ﷺ وقال له: "يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة". وفهم عمرما أراد رسول الله ﷺ وصافح النبي متهللا وخرج مسرعا ليزف إلى ابنته الخبر العظيم لقد خطبها رسول الله ﷺ، وفي الطريق قابل الصديق رضي الله عنه وعرف الصديق على الفور سر السعادة التي على وجه عمر فقال له: لا تجد علي يا عمر فإن رسول الله ذكر حفصة فلم أكن لأفشي سر رسول الله" ولو تركها لتزوجتها، أما عثمان رضي الله عنه فقد تزوج من أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، وكان ذلك في جمادى الآخرة من السنة الثالثة للهجرة.

في بيت النبوة

كان هناك تقاربا شديدا بين السيدة حفصة والسيدة عائشة رضي الله عنهما، منذ أن أتت السيدة حفصة إلى بيت النبوة وكانت رضي الله عنها تراجع النبي ﷺ، ذات مرة قال رسول الله ﷺ: "لا يدخل الجنة إن شاء الله أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها"، قالت حفصة رضي الله عنها: بلى يا رسول الله فانتهرها فتلت الآية الكريمة {وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا} (مريم :٧١). فقال النبي ﷺ: "لقد قال الله عز و جل: {ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا}". ولما عرف عمر رضي الله عنه أنها تراجع رسول الله ﷺ دخل عليها، وقال لها: أتراجعين رسول الله قالت: نعم، قال: وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟! قالت: نعم، قال: قد خابت من فعلت هذا منكن أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله فإذا هي قد هلكت، لا تراجعي رسول الله ولا تسأليه شيئا وسليني ما بدا لك ولا يغرنك إن كنت أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ".

وقد تظاهرتا السيدة عائشة والسيدة حفصة رضي الله عنهما على رسول الله ﷺ فكان الهجر واعتزاله لنسائه ومن المتفق عليه من حديث عمر رضي الله عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه فقلت: يا أمير المؤمنين من اللتين تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه؟، فقال: تلك حفصة وعائشة.

وتعددت المرويات عن هذا السر الذي نبأت به وفي أسباب نزول آيات التحريم ومنها أن السيدة حفصة رضي الله عنها علمت أن النبي ﷺ قد خلا بالسيدة مارية رضي الله عنها في بيت السيدة حفصة رضي الله عنها، فبكت السيدة حفصة مقهورة فاسترضها الرسول الكريم بأن حرم السيدة مارية على نفسه موصيا السيدة حفصة بالكتمان ولكن السيدة حفصة لم تستطع أن تكتم السر عن عائشة رضي الله عنها، فكأنما أشعلت فيها النار ولجت عائشة رضي الله عنها في غيرتها والنساء يظاهرنها على النبي ﷺ، خاصة أن السيدة مارية رضي الله عنها قد حملت دونهن من رسول الله "فترفق النبي بهن ما استطاع مقدرا بواعث هذا التظاهر، لكنهن تمادين في اللجاج إلى حد الشطط لطول ما أملي لهن رسول الله ﷺ، ولم يكن رسول الله فارغ البال لذلك الشطط النسائي فاعتزلهن جميعا في صرامة لم يألفنها وقال: "ما أنا بداخل عليهن شهرا"، ولكن الله لطف بهن فاكتفى بإنذارهن إن لم يتبن فعسى ربه أن يبدله أزواجا خيرا منهن، ونزل عمر إلى المسجد وبشر المسلمين أن الرسول ﷺ لم يطلق زوجاته وخرج رسول فتلا فيهم قوله تعالى: {يا ايها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة ازواجك و الله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم و الله مولاكم وهو العليم الحكيم و اذ أسر النبي إلى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به و أظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأت به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل و صالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيرا عسي ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا} (التحريم: ١ :٥).

طلاقها وعودتها

طلق الرسول ﷺ السيدة حفصة فعرف عمر رضي الله عنه بالخبر، فأخذ يحثو التراب على رأسه ويقول: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها فنزل جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وقال: إن الله تعالى يأمرك أن تراجع حفصة رحمة بعمر، وأخرج الطبراني أن رسول الله ﷺ طلق حفصة بنت عمر فدخل عليها خالها قدامة بن مظعون فبكت وقالت: والله ما طلقني عن شبع، فجاء رسول الله ﷺ فقال: "قال لي جبريل: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة".

ظلت السيدة حفصة مرجعا لكبار الصحابة الذين عرفوا لها علمها وفضلها، حتى إن أباها عمر رضي الله عنه سألها عن أقصى مدة تحتمل فيها المرأة غياب زوجها عنها فأجابته رضي الله عنها بأنها أربعة أشهر .

ومما يروي عنها ما قالته لأبيها لما طعنه المجوسي "يا أبتاه ما يحزنك وفادتك على رب رحيم ولا تبعة لأحد عندك ومعي لك بشارة لا أذيع السر مرتين ونعم الشفيع لك العدل لم تخف على الله عز وجل خشنة عيشتك وعفاف نهمتك وأخذك بأكظام المشركين والمفسدين"، وكانت رضي الله عنها راوية لأحاديث رسول الله ﷺ وقد اتفق لها الشيخان على أربعة أحاديث وانفرد مسلم بستة أحاديث، ولما أراد عبد الله بن عمر رضي الله عنه ألا يتزوج فأمرته أم المؤمنين بالزواج ناصحة له مبينة له ما يرجي من الزواج من ولد صالح يدعو لابيه وقالت: "تزوج فإن ولد لك ولد فعاش من بعدك دعا لك"، وبعد أن انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وكان ما كان من حروب الردة واستشهاد الكثير من الصحابة من حملة القران واستقر رأي المسلمين على جمع القرآن وتدوين المصحف كلف أبوبكر الصديق عدداً من الصحابه بجمعه وكتب في صحيفة

استأمن عليها حفصة فقد كانت امرأة كاتبة فصارت حارسة القرآن الكريم ثم طلب منها عثمان رضي الله عنه المصحف لينسخه لجميع البلاد على قراءة واحدة بعد اختلافهم في القراءة ثم أعاده إليها وظل عندها إلى أن توفاها الله وكانت أوصت به إلى أخيها عبد الله رضي الله عنه.

وقد توفيت في عهد معاوية بن أبي سفيان وشيعتها المدينة إلى مثواها الأخير بالبقيع مع أمهات المؤمنين رضي الله عن أم المؤمنين حفصة التي زكتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقولها: "إنها ابنة أبيها وكلنا يعرف من أبوها".

أم حبيبة بنت أبي سفيان

بعد فتح خيبر والنصر المظفر على اليهود وزواج النبي الكريم محمد "بعقيلة بني النضير عاد إلى المدينة ليسر بمفاجأة أخرد وهي عودة مهاجري الحبشة الذين فروا بدينهم أيام الاضطهاد ومن بين العائدات رملة بنت أبي سفيان "أم حبيبة" تنتظر زوجها الكريم رسول الله، وقد مضى على زواجه بها بضع سنين منذ كانت بالحبشة.

وكان لزواجها بالنبي قصة مثيرة بدايتها منذ أسلمت رملة – رضي الله عنها – وهاجرت مع زوجها ابن عمة المصطفي عبيد الله بن جحش إلى الحبشة، حيث ولدت ابنتها حبيبة، ولكن ما لبث زوجها أن ارتد عن الإسلام ودخل النصرانية فكادت تهلك غما وحسرة، وقد فقدت الزوج الذي كان الأهل والوطن وأصبحت وحيدة بابنتها مخزية بفعلة زوجها ولا تستطيع العودة إلى مكة وأبوها يعلن بالحرب على النبي الذي آمنت به ودار أهل زوجها خالية لهجرتهم إلى المدينة، فاعتزلت الناس وظلت بعزلتها حتى جاءتها بشرى إرسال النبي إلى النجاشي يخطبها فما وسعتها دنياها من الفرحة، وأرسلت إلى خالد بن سعيد كبير المهاجرين من قومها فوكلته في زواجها وأولم النجاشي للمسلمين وليمة الزواج وأصدقها أربعمائة دينار عن النبي، وباتت بنت أبي سفيان وهي أم للمؤمنين وزوجة لأشرف الخلق أجمعين وأصبحت والهدايا تحمل إليها من الملك ونسائه من عود وعنبر وطيب فتقبلتها شاكرة واحتفظت بها حتى حملتها إلى بيت النبي.

واحتفلت المدينة بدخول بنت أبي سفيان بيت النبي واستقبلها نساؤه بشيء من المجاملة ولم تر عائشة فيها أول الأمر ما يشعل غيرتها إذ قاربت على

الأربعين، واستعدت لتضمها لحزبها لولا أنفة بنت أبي سفيان أن تكون تابعة، فضلا عن إنكارها لعائشة زهوها واستئثارها بالنفوذ في بيت النبي لكن الجفوة بينهما لم تشتد إلى درجة الخصومة المعلنة وإن بقيت عائشة تهاب "رملة" ووقوفها دون ما تبغي من تفرد بالكلمة العليا بين زوجات النبي، أما بنت أبي سفيان فكان أهم ما يشغلها ويؤلمها من أهل أبيها وصحابة زوجها أبناؤها المؤمنون، وكذلك يشق هذا على النبي.

وبلغت أزمتها ذروتها يوم نقض قريش لصلح الحديبية فأدركت بفطنتها أن المواجهة لا محالة قائمة، وأتى أبو سفيان النبي – الذي دانت له معظم القبائل حينئذ – لمفاوضته في تجديد الهدنة فلم يجبه فتوسل بأبي بكر وعمر فلم يغنياه عن النبي فتذكر ابنته أم حبيبة وجاءها يستعين بها فلما فوجئت به في بيتها وشاهد حيرتها تقدم ليجلس على الفراش فأسرعت ونزعته قائلة إنه فراش رسول الله وأنت رجل مشرك، فخرج أبو سفيان والألم يعصره مازادت أم حبيبة أن دعت لزوجها بالنصر وهو يتأهب للمعركة الفاصلة في البلد الحرام، ولكن كيف لا يحزن قلبها على المصير الفاجع الذي ينتظره قومها وتعلم أنه لمحزن أيضا للنبي ﷺ، ولاحت لها بارقة أمل في إسلام أبيها كما أسلم غيره من سادات قريش وتوجهت للسماء تدعو الله أن يهديه وهذا غاية ما تملك أم المؤمنين لأبيها وأهله، واستجاب الله لأم حبيبة فأعز زوجها النبي بفتح مكة وأعز أبيها بالإسلام وأزيح عن كاهلها عبء باهظ سكنت بعده إلى حياتها واطمأنت بها، وعندما حان رحيلها دعت عائشة إليها فقالت لها: "قد يكون بيننا ما يكون بين الغرائز فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك"، فاستغفرت لها عائشة فأضاء وجهها الشاحب بنور الرضا وهمست: "سررتني سرك الله" وفعلت مثل ذلك مع أم سلمة ثم رقدت بسلام بالبقيع سنة أربع وأربعين.

وتقول أم حبيبة رضي الله عنها: "رأيت في المنام كأن زوجي عُبيد الله بن جحش بأسود صورة ففزعت، فأصبحت فإذا به قد تنصّر، فأخبرته بالمنام فلم يحفل به، وأكبّ على الخمر حتى مات.. فأتاني آت في نومي فقال: "يا أم المؤمنين".. ففزعت، فما هو إلا أن انقضتْ عدّتي، فما شعرت إلا برسول النجاشي يستأذن، فإذا هي جارية يقال لها أبرهة، فقالت: "إن الملك يقولُ لك: وكّلي مَنْ يزوِّجك".. فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص بن أمية فوكّلته، فأعطيتُ أبرهة سِوارين من فضّة .. فلمّا كان العشي أمرَ النجاشي جعفر ابن أبي طالب، ومن هناك من المسلمين فحضروا، فخطب النجاشي فحمد الله تعالى وأثنى عليه وتشهد ثم قال: "أما بعد، فإن رسول الله كتب إلى أن أزوّجه أم حبيبة، فأجبت وقد أصدقتُها عنه أربعمائة دينار".. ثم سكب الدنانير.

ثم خطب خالد بن سعيد فقال: "قد أجبتُ إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوّجته أم حبيبة".. وقبض الدنانير، وعمل لهم النجاشي طعاماً فأكلوا..

تقول أم حبيبة رضي الله عنها: "فلمّا وصل إلى المال، أعطيتُ أبرهة منه خمسين ديناراً، فردتّها علي، وقالت: "إن الملك عزم على بذلك".. وردّت على ما كنتُ أعطيتُها أوّلاً .. ثم جاءتني من الغَد بعودٍ ووَرْسٍ وعنبر، وزبادٍ كثير، أي طيب كثير، فقدمتُ به معي على رسول الله ﷺ .. ولمّا بلغ أبا سفيان أن النبي ﷺ نكح ابنته قال: (هو الفحلُ لا يجْدَعُ أنفُهُ) .. أي إنه الكُفء الكريم الذي لا يعاب ولا يردّ.

لقد كانت عودة المهاجرة (أم حبيبة) عقب فتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر، مع جعفر ابن أبي طالب ومن معه من المهاجرين إلى الحبشة، وقد سُرَّ الرسول ﷺ أيما سرور لمجيء هؤلاء الصحابة بعد غياب طويل، ومعهم

الزوجة الصابرة الطاهرة.. وقد قال الرسول ﷺ: "والله ما أدري بأيهما أفرحُ؟ بفتح خيبر؟ أم بقدوم جعفر"..

وما إن وصلت أم حبيبة رضي الله عنها إلى المدينة، حتى استقبلها الرسول ﷺ بالسرور والبهجة، وأنزلها إحدى حجراته بجوار زوجاته الأخريات، واحتفلت نساء المدينة بدخول أم حبيبة بيت رسول الله ﷺ وهن يحملن إليها التحيات والتبريكات، وقد أولم خالها عثمان بن عفان وليمة حافلة، نحر فيها الذبائح وأطعم الناس اللحم.

واستقبلت أمهات المؤمنين هذه الشريكة الكريمة بالإكرام والترحاب، ومن بينهن العروس الجديدة (صفية) التي لم يمض على عرسها سوي أيام معدودات، وقد أبدت السيدة عائشة استعدادا لقبول الزوجة الجديدة التي لم تُثر فيها حفيظة الغيرة حين رأتها وقد قاربت سن الأربعين، وعاشت أم حبيبة بجوار صويحباتهم الضرائر مع الرسول ﷺ بكل أمان وسعادة.

أم سلمة هند بنت أبي أمية أم المؤمنين

أول المهاجرات إلى الحبشة وأول المهاجرات إلى المدينة من أعلام النبلاء، ولِدت في مكة قبل البعثة بنحو سبع عشرة سنة، وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسبا، وكانت قريبة من خمس وثلاثين سنة عندما تزوّجها النبي محمد ﷺ سنة أربع للهجرة، هي هند بنت أبي أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرّة المخزومية، ابنة عم خالد بن الوليد وابنة عم أبي جهل عدو الله.

وكانت قبل الرسول ﷺ عند أخيه من الرضاعة أبي سلمة ابن عبد الأسد المخزومي الرجل الصالح.

أم سلمة رضي الله عنها امرأة ذات شرف في أهلها، وهي ابنة أحد أجود رجال العرب، وكانت مثل أبيها حيث جادت بنفسها في سبيل إيمانها، فكانت أول من خرج من المسلمين إلى الحبشة من بني مخزوم مع زوجها أبو سلمة ابن عبد الأسد، وولدت له بأرض الحبشة زينب بنت أبي سلمة وعادت مع زوجها إلى مكة متخفية عن أنظار الظالمين، وصبرت في سبيل الله حتى أذن الله لهم بالهجرة إلى المدينة المنورة.

قالت أم سلمه عن هجرتها إلى المدينة: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحّل بعيراً له، وحملني وحمل معي ابني سلمه، ثم خرج يقود بعيره، فلما رآه رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه، علامَ نتركك تسير بها في البلاد؟ ونزعوا خطام البعير من يده وأخذوني

فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، وأهووا إلى سلمة وقالوا والله لا نترك ابننا عندها، إذا نزعتموها من صاحبنا فتجاذبوا ابني سلمة حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، ورهط أبي سلمة، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة حتى لحق بالمدينة، ففرق بيني وبين زوجي وابني فكنت أخرج كلّ غداة وأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسيت سبعاً أو قريبها حتى مرّ بي رجل من بني عمي فرأى ما في وجهي، فقال لبني المغيرة ألا تخرجون هذه المسكينة فرَّقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها؟ فقالوا: الحقي بزوجك إن شئت وردّ على بنو عبد الأسد عند ذلك ابني فرحلت بعيري، ووضعت ابني في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي من أحد من خلق الله، فكنت أبلغ من لقيت، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة أخا بني عبد الدار، فقال: أين يا بنت أبي أمية؟ قلت أريد زوجي بالمدينة فقال هل معك أحد ؟ فقلت لا والله إلا الله، وابني هذا فأخذ بخطام البعير وانطلق معي يقودني، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب أراه أكرم منه، وإذا نزل المنزل أناخ بي ثم تنحي إلى الشجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه ورحله ثم استأخرعني وقال اركبي فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقادني حتى نزلت، فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم بي المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال إن زوجك في هذه القرية وكان أبو سلمة نازلاً بها، وهنا التقت الأسرة المهاجرة بعد تفرّق وتشتّت.

وفاة أبي سلمة

وشهد أبو سلمة غزوة أحد، وأصيب بسهم في عضده، وظنّ أنه التأم فعاد وانفض جرحه فأخلد إلى فراشه ومرضته أم سلمة إلى أن حضره الأجل وتوفاه الله

وقد قال عند وفاته "اللهم اخلفني في أهلي بخير"، فأخلفه الله تعالى رسوله ﷺ على زوجته أم سلمة بعد انقضاء عدّتها، حيث خطبها وتزوجها فصارت أماً للمؤمنين، وصار الرسول ﷺ ربيب بنيه "عمر وسلمة وزينب"، وكان " عند أم سلمة، فدخل عليها الحسن والحسين سبطا رسول الله رضي الله عنهما، ثم أدخلهما تحت ثوبه، ثم جأر إلى الله عزّ وجل وقال: "هؤلاء أهل بيتي"، فقالت أم سلمة: "يا رسول الله، أدخلني معهم"، فقال: "أنتِ من أهلي"، وبهذا أدخل على نفسها الطمأنينة وكان يهتم بأبنائها كأنهم أبنائه فربيبته زينب بنت أبي سلمة أصبحت من أفقه نساء أهل زمانها وبلغ من إعزازه لربيبه سلمة ابن أبي سلمة أن زوجه بنت عمه حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه.

وصحبت أم المؤمنين أم سلمة الرسول ﷺ في غزوات كثيرة، فكانت معه في غزوة خيبر وفي فتح مكة وفي حصاره للطائف وفي غزو هوازن وثقيف، ثم صحبتْهُ في حجة الوداع ففي السنة السادسة للهجرة صحبت أم سلمة النبي ﷺ في غزوة الحديبية، وكانت لها مشورة لرسول الله أنجت بها أصحابه من غضب الله ورسوله، وذلك حين أعرضوا عن امتثال أمره، فعندما فرغ الرسول ﷺ من قضية الصلح قال لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا، فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلمّا لم يقم منهم أحد دخل الرسول ﷺ على أم سلمة فذكر لها ما لقي من عدم استجابة الناس، وما في هذا من غضب لله ولرسوله ومن تشفي قريش بهم، فألهم الله أم سلمة لتنقذ الموقف فقالت: (يا نبي الله، أتُحبُّ ذلك؟ "أي يطيعك الصحابة"، فأومأ لها بنعم، فقالت: "اخرج ثم لا تكلّمْ أحداً منهم كلمةً حتى تنحر بُدْنَكَ وتدعو حالِقكَ فيحلقُكَ"، فخرج الرسول "فلم يكلّم أحداً، ونحر بُدْنَهُ ودعا حالِقَهُ فحلقه فلما رأى الصحابة ذلك قاموا

فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً، وبذلك نجا الصحابة من خطر مخالفة رسول الله ﷺ.

مع أم المؤمنين عائشة

وكانت لأم سلمة مشورة لأم المؤمنين عائشة، وذلك حين عزمت الخروج لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه، فكتبت لها في عُنف وإنكار شديد فقالت: "إنك سُدّةٌ بين رسول الله وأمته، وحجابك مضروبٌ على حرمته، قد جمع القرآن الكريم ذيلكِ فلا تندحيه وسكّن الله عقيرتك فلا تصحريها (أي صوتك لا ترفعيه) الله من وراء هذه الأمة، ما كنت قائلةً لرسول الله ﷺ لو عارضك بأطراف الجبال والفلوات ولو أتيتُ الذي تُريدين، ثم قيل لي ادخلي الجنة لاستحييتُ أن ألقي الله هاتكةً حجاباً قد ضربَهُ علي"، وذكرت كلاماً تحثها فيه على عدم الخروج، فكتبت لها السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: "ما أقبلني لوعظك، وما أعلمني بنصحك وليس مسيري على ما تظنين ولنِعْمَ المطلعُ مطلعٌ فزعتْ فيه إلى فئتان متناحرتان".

توفيت أم سلمة رضي الله عنها سنة إحدى وستين من الهجرة وعاشت نحواً من تسعين سنة، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين.

السيدة مارية القبطية

السيدة مارية من قرية عتيقة من صعيد مصر تدعى حفن تابعة للضفة الشرقية من النيل تجاه الأشمونين، وقد ولدت لأب قبطي وأم مسيحية رومية وأمضت حداثتها في حفلن قبل أن تنتقل في صباها الباكر مع أختها سيرين إلى قصر المقوقس عظيم القبط بالإسكندرية.

سمعت مارية وهي بالقصر الملكي عن ظهور نبي ببلاد العرب يدعو إلى دين سماوي جديد وكانت في القصر، وقد جاء حاطب ابن أبي بلتعة صاحب النبي الجديد موفداً من قبله بكتاب للمقوقس عظيم القبط وترجم نص الرسالة للمقوقس، وأجاب عليها برد وهدايا منها مارية وأختها مع التوصية أنهما من أشراف القبط في مصر، ولهما مكانة في القبط عظيمة مع كسوة وبغلة ومثقال من الذهب وعشرين ثوباً من نسيج مصر وجانب من العسل وبعض العود والطيب، وتعددت الروايات في إسلامها، فرواية تقول إن حاطباً عرض عليهما الإسلام في الطريق فأسلمتا وأخرى تقول إن رسول الله ﷺ عندما قدمتا المدينة أنزلهما عند أم سليم ملحان الأنصارية ودخل عليهما فعرض عليهما الإسلام فأسلمتا ونقل مارية إلى العالية على مشارف المدينة بعد حملها.

ووهب أختها سيرين لشاعره حسان بن ثابت وهي أم ولده عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت وعلي أي القولين تكونا قد أسلمتا أول عهدهما بالمدينة، وظلت مارية محتفظة بنسبها القبطي المصري تذكر به في كتب السيرة النبوية والذرية الطاهرة، وفتح مصر وطبقات الصحابة ولم تعرف بأي نسب غيره مثلما احتفظ

النبي ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم بأنسابهم في الجاهلية فما كان للمسلم أن يدعي لغير أبيه أو أن يجحد نفسه في مثل عبد شمس وعبد العزي.

وقد أبعدهما رسول الله عن زوجاته لعلمه بما جبلت عليه النساء من الغيرة وعذره إياهن، فيما لم يحاول أخذهن بعناد الفطرة.

وفي بداية حياتها مع الرسول شغلت السيدة مارية باللسان العربي هي وأختها فهما لم يتبادلا الحوار مع حاطب أثناء الرحلة ولكنهما تعلمتا العربية في المدينة "فسرين"، تعلمت من زوجها حسان بن ثابت شاعر الإسلام ومارية من نبي الله ﷺ تعلمت منه العربية.

ومضي عام ومارية سعيدة بحظوتها لدي الرسول ﷺ فقد اطمأن بها المقام في كنفه، وانحصرت أمانيها وخواطرها، بل انحصر وجودها كله في شخص ذلك السيد العظيم الذي ربطها به القدر على غير ميعاد فكان لها النبي ﷺ المعلم والسيد والصاحب والأهل والوطن.

صار همها أن تظل أبدا موضع حظوته ورضاه على أنها كانت متعلقة بذكرى هاجر المصرية التي جاءت من أرض النيل وحملت من سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وأصبحت مارية حين كانت تخلو لنفسها تفكر في هاجر ومصريتها وأمومتها لإسماعيل جد العرب العدنانية فلم تخطئ فيها ملامح شبيهة بها لكن هاجر كانت أما لولد إبراهيم فهل تغدو مارية أما لولد محمد؟ ليس هذا على الله ببعيد وأكثرت الدعاء.. وكانت الإجابة.

ففي عامها الثاني بالمدينة أحست ببوادر حمل مستكن فكذبت إحساسها واتهمت يقظتها وخيل إليها أن المسألة لا تعدو أن تكون وهماً جسمه شوقها الملح إلى الأمومة وتفكيرها الدائم في هاجر وابنها.

كتمت ما بها شهراً أو اثنين وهي في ريب من الأمر لا تدري أحق هو أم حلم يقظة؟ حتى قويت البوادر الأولى، وصارت أوضح من أن تتهم فيه بالتخيل عندئذ أفضت به إلى أختها سيرين التي أجابتها أنه حمل خفيف فقد سبقتها سيرين إلى هذه الأعراض حينما حملت في عبد الرحمن بن حسان بن ثابت.

إن السعادة لا تقدر هنا ولا توصف بكلمات حتى أخبرت النبي ﷺ الذي تأكد بدوره ملاحظا لها في الشهور الأخيرة مثلما كان حمل خديجة رضي الله عنها.. وإذا حدثته مارية عن ريبتها الأولى في حملها ذكر آية زكريا حين جاءته البشري بغلام عليم وامرأته تسمع فصكت وجهها، وقالت عجوز عقيم فضحكت مارية وقالت: لكنني لست عجوزاً يا رسول الله وفاض عامها المشترك بالهناءة والغبطة والشكر لله العلي العظيم الرحيم.

وسرعان ما سرت البشرى في أنحاء المدينة أن رسول الله ﷺ ينتظر ولداً من مارية المصرية وما بنا حاجة إلى تصور وقع الخبر على نساء النبي، ويبدو أن الله سبحانه وتعالى جعله يتصرف بإبعادها عن نسائه في مكان خاص بها لهذه اللحظة.. فقد كان وقع الخبر عظيما أليما عليهن.. أتحمل تلك الغريبة الطارئة ولم يمض عليها في المدينة سوى عام واحد وإن منهن من أمضت في بيت الزوجية عدة أعوام بلا حمل.. أيؤثرها الله تعالى بهذه النعمة الكبرى، وأمهات المؤمنين وفيهن بنتا أبي بكر وعمر وبنت زاد الركب المؤمنين وحفيدة أبي طالب لا يلدن، وفي العالية تم حمل السيدة مارية وتوفرت لها الراحة والعناية في ساعة الوضع.

وذات ليلة من ذي الحجة سنة ثمان هجرية دعا المصطفى قابلتها سلمي زوج مولاه أبي رافع ثم انتحى ناحية الدار ليصلي ويدعو فلما جاءت أم رافع

بالبشري أكرمها كل الإكرام وخف إلى مارية مهنئاً ومعتقاً لها من الرق ثم حمل وليده بين يديه في حنان وغبطة وسماه إبراهيم، متيمناً باسم أبي الأنبياء وتصدق ﷺ على مساكين المدينة بوزن شعر الوليد فضة وتنافست نساء الأنصار فيمن ترضعه فاختار الأب مرضعا لولده وجعل في حيازتها سبعاً من الماعز ترضعه بلبنها، إذا شح ثديها وراح ﷺ يرقب مولوده يوماً بعد يوم ويجد فيه أنسه وسرته ويود لو شاركت دنياه كلها هذا الأنس.

ومن جانب آخر أصابت السيدة عائشة بنت أبي بكر الغيرة، وعلى حد قول الرسول ﷺ ويحها لو استطاعت ما فعلت لكنها الفطرة البشرية جاء الحديث فيما أسند بن سعد عنها في الطبقات الكبرى عن حديث عمرة بنت عبد الرحمن بن عوف عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما غرت على امرأة قط، لا دون ما غرت على مارية وذلك أنها كانت جميلة وأعجب بها رسول الله وكان قد أسكنها أول مقدمها من مصر، في بيت الحارث بن النعمان الأنصاري فكانت جارتنا فكان رسول الله ﷺ يكثر من المبيت عندها فحولها إلى العالية فكان يختلف إليها هناك فكان ذلك أشد علينا ثم رزقه الله منها الولد وحرمنا منه".. وفي أشهر روايتين في نزول "سورة التحريم" أنها التي عاتب فيها الله عز وجل رسوله "بقوله تعالى:{يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك} (التحريم: ١).

وفيما رواه الحفاظ من أصحاب الإمام مالك بن أنس وأصحاب الزهري أن مارية القبطية أم إبراهيم خرجت ذات يوم من مسكنها بالعالية فأتت النبي ﷺ في أمر فاستقبلها في بيت حفصة بنت عمر أم المؤمنين، وكانت غائبة عنه في زيارة لأهلها وعادت فشق عليها أن تجده ﷺ قد خلا في بيتها بمارية وانتظرت حتى خرج فقالت له: أفي بيتي دون غيره تلقي مارية؟ ما كنت تفعل لولا هواني عليك

واستعبرت الله عليه باكية؟ وعز عليه – وهي التقية العابدة بنت صاحبه عمر الذي أعز الإسلام، وأقبل يتراضاها فما رضيت إلا بأن حرم مارية عليه وأوصاها أن تكتم الأمر كله لا تسمع به عائشة فتلهب غيرتها لكن حفصة لم تملك نفسها حين رأت عائشة حتى أنبأتها بما كان فكأنما أشعلت ناراً في بيت النبي ﷺ فاعتزلهن جميعا شهرا بأكمله في مشربة له بأعالي المدينة بعد أن طال صبره عليهن، فقد تكررت أمور الغيرة وغيرها قبل ذلك من مناقشة في زيادة النفقة ونزول سورة التخيير ومن مكيدة كل من السيدة عائشة والسيدة حفصة على السيدة زينب بنت جحش في قصة المغافير وكانت حادثة لقاء مارية آخرها فحرم النبي على نفسه نساءه جميعا.

علمت "مارية" الشيء الكثير عن "هاجر" التي سبقتها بقرون إلى بلاد الحجاز، بلاد الله الآمنة الطيبة المباركة، فكانت رضي الله عنها تواقة لأن تصبح أم لولد، ليكون لها شرف الذرية من محمد ﷺ كما كان لهاجر شرف الذرية من إبراهيم عليه السلام، وتمضي الأيام طاوية ذكريات الأمل المتجدد في نفس "مارية" حتى أذن الله تعالى لها بالحمل من الرسول ﷺ فحملت بإبراهيم.

وقد حقق الله تعالى أمنيتها، فولدت ابن الرسول ﷺ الذي سماه باسم أبيه الأكبر "إبراهيم" عليه الصلاة والسلام، فكانت بذلك قد نالت بغيتها، وتحققت رغبتها، وكانت لها بذلك الحظوة الكبيرة عند رسول الله ﷺ حيث أصبحت أم ولده الذي أعتقها من الرق.

مرض إبراهيم ووفاته

ولما بلغ "إبراهيم" قرابة العامين من عمره مرض فطار فؤاد أمه عليه، فأرسلت إلى "سيرين" خالة إبراهيم، لتقوم معها على تمريضه، وطلب الدواء له،

وتمضي الأيام والطفل لم تظهر عليه بوارق الشفاء، فخافت عليه أكثر، حتى إذا اشتد عليه المرض أرسلت إلى أبيه رسول الله فجاء ليرى ولده.

قال أنس: لقد رأيته – أي إبراهيم – وهو يكيد بنفسه – أي: يجود بها وهو في النزع– بين يدي رسول الله ﷺ – فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال: تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم، أنا بك لمحزونون.

ولما شاع خبر وفاة "إبراهيم" حصل كسوف للشمس، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: "إن الشمس والقمر آتيان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم فصلوا وادعو الله".

وهكذا ودعت "مارية" ولدها الوحيد "إبراهيم" وسط خطب كبير، ما بين دموع الرسول الحانية وكسوف الشمس، ومقالات الناس، وتوجيه النبي ﷺ وتعليمه إياهم إذا رأوا آية من آيات الله كخسوف أو كسوف.

وبقيت "مارية" صابرة راضية بقضاء الله تعالى وقدره، حتى نزل بها الخطب الجلل، ألا وهو وفاة رسول الله ﷺ فأنساها ذلك حزنها على ابنها "إبراهيم" وبقيت على العهد الدي كانت عليه في حياته، واعتكفت في منزلها حزينة باكية ليس لها من سلوي في الحياة غير زيارة قبر رسول الله ﷺ وقبر وليدها "إبراهيم" وظلت في عزلتها عن الناس قرابة خمس سنوات حتى ماتت في العام السادس عشر من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب ودفنت بالبقيع وهي في الثلاثين من عمرها تقريبا.

أما إسلامها فقد أسلمت، وهذا ثابت في أغلب المصادر والمراجع التي وقفت عليها، هذه هي "مارية" القبطية التي كان لها الشرف العظيم بقدومها على النبي ﷺ من المقوقس ملك الأقباط، والتي رسمت الابتسامة الجميلة لرسول الله ﷺ عندما أنجبت له "إبراهيم" فكان لها به شرف عظيم ومنزلة كريمة، فرحم الله مارية القبطية وأسكنها فسيح جناته وأنزلها في مستقر رحمته، وجعلها من الأولين.

جويرية بنت الحارث معتقة بني المصطلق

امرأة من خيرة النساء وأكثرهن حسنا وما زاد في حسنها أن أصبحت واحدة من أمهات المؤمنين، كانت إحد أسرى رسول الله في حربه ضد عشيرتها، اعتق المسلمون في سبيلها مائة من أهل بيتها وعشيرتها بنو المصطلق بعد أن أصبحوا أصهارا لرسول الله ﷺ هي برة بنت الحارث ابن أبي ضرار، كان أبوها سيد بني المصطلق عاشت في بيت والدها في ترف وعز وفي بيت تسوده العراقة والأصالة، وفي حداثة سنها تزوجت من مسافع بن صفوان أحد فتيان خزاعة وكانت لم تتجاوز العشرين من عمرها.

بدأ الشيطان يتسلل إلى قلوب بني المصطلق ويزين لهم بأنهم يستطيعون التغلب على المسلمين، فأخذوا يعدون العدة ويتأهبون لمقاتلة المسلمين بقيادة الرسول ﷺ، وكان بقيادتهم سيدهم الحارث ابن أبي ضرار، وكانت نتيجة القتال هزيمة بني المصطلق في عقر دارهم، فما كان من النبي إلا أن سبي كثيرا من الرجال والنساء، وكان مسافع بن صفوان زوج جويرية من الذين قتلتهم السيوف المسلمة، وقد كانت السيدة جويرية بنت الحارث من النساء اللاتي وقعن في السبي فوقعت في سهم ثابت ابن قيس بن شماس الأنصاري رضي الله عنه، عندها اتفقت معه على مبلغ من المال تدفعه له مقابل عتقها، لأنها كانت تتوق للحرية.

جاءت جويرية تسأل رسول الله في كتابتها فقالت: "يا رسول الله، أنا بنت الحارث، وإنما كان من أمري ما لا يخفى عليك، وإني وقعت في سهم ثابت بن

قيس بن شماس، وإني كاتبت على نفسي، فجئتك أسألك في كتابتي"، فقال رسول الله ﷺ: "فهل لك إلى ما هو خير منه؟" قالت: "وما هو يا رسول الله؟" قال: "أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك" قالت: "قد فعلت". وعندما سمع الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية أرسلوا ما في أيديهم من السبي.

كانت قبل ذلك تحترق طلبا لاستنشاق عبير الحرية، ولكنها وجدت الأعظم من ذلك ففرحت جويرية فرحا شديدا وتألق وجهها لما سمعته من رسول الله ﷺ، ولما سوف تلاقيه من أمان من بعد الضياع والهوان فأجابته بدون تردد أو تلعثم: "نعم يا رسول الله"، فتزوجها النبي "وأصدقها أربعمائة درهم، وكان اسمها برة فغيره رسول إلى جويرية، فأصبحت بعدها أما للمؤمنين وزوجة لسيد الأولين والآخرين.

بركة جويرية

كانت بركة جويرية من أعظم البركات على قومها، قالت عنها السيدة عائشة رضي الله عنها: "لقد أعتق زواجها من رسول الله مائة من أهل بيت بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركة منها".

كانت السيدة جويرية من أجمل النساء، كما أنها تتصف بالعقل الحصيف والرأي السديد الموفق، والخلق الكريم والفصاحة ومواقع الكلام كما كانت تعرف بصفاء قلبها ونقاء سريرتها، وزيادة على ذلك فقد كانت واعية، تقية نقية ورعة فقيهة مشرقة الروح مضيئة القلب والعقل.

راحت السيدة جويرية تحذو حذو أمهات المؤمنين في الصلاة والعبادة وتقتبس من الرسول ﷺ ومن أخلاقه وصفاته الحميدة حتى أصبحت مثلا في

الفضل والفضيلة، فكانت أم المؤمنين جويرية من العابدات القانتات السائحات الصابرات، وكانت مواظبة على تحميد العلي القدير وتسبيحه وذكره.

كانت أم المؤمنين جويرية من ناقلات الحديث فقد نقل عنها ابن عباس، وعبيد بن السباق، وكريب مولي ابن عباس ومجاهد وأبو أيوب يحيي بن مالك الأزدي وجابر ابن عبد الله، وبلغ مسندها في كتاب بقي منه مخلداً سبعة أحاديث منها أربعة في الكتب الستة، عند البخاري حديث وعند مسلم حديثان وقد تضمنت مروياتها أحاديث في الصوم في عدم تخصيص يوم الجمعة بالصوم، وحديث في الدعوات في ثواب التسبيح، وفي الزكاة في إباحة الهدية للنبي ﷺ إن كان المهدي ملكها بطريق الصدقة، كما روت في العتق.

وهكذا وبسبعة أحاديث شريفة خلدت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها اسمها، لتضيف إلى شرف صحبتها للنبي ﷺ وأمومتها للمسلمين، تبليغها الأمة سنن المصطفى ﷺ، ما تيسر لها ذلك. ومن الأحاديث التي نقلتها "دخل رسول الله" على جويرية بنت الحارث يوم الجمعة وهي صائمة، فقال لها: أصمت أمس؟ قالت: لا قال: أتريدين أن تصومي غدا؟ قالت: لا قال: فأفطري".

عاشت السيدة جويرية بعد رسول الله راضية مرضية، وامتدت حياتها إلى خلافة سيدنا معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما، وتوفيت أم المؤمنين في شهر ربيع الأول من السنة الخمسين للهجرة النبوية الشريفة، وشيع جثمانها في البقيع وصلى عليها مروان بن الحكم.

ريحانة بنت شمعون
رضي الله عنها

بين اليهودية والإسلام! اختلف في نسبها هل هي قرظية أم نضيرية؟ واختلف أيضاً في عتقها! ولم يختلف في إسلامها إذ أجمعوا على وفاتها قبل وفاة رسول الله ﷺ وأنها دفنت في البقيع.

قيل هي، ريحانة بنت شمعون بن زيد، وقيل، ريحانة بنت زيد بن عمرو بن قنافة أو خنافة، وقال ابن إسحاق هي من بني عمرو بن قريظة وقال ابن سعدة: هي ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة بن شمعون بن زيد من بني النضير، وكانت متزوجة رجلاً من بني قريظه يقال له الحكم، ثم روي ذلك عن الواقدي وجاء في أعلام النساء لـ"عمر رضا كحالة" (١:٨)، (ص: ٤٧٤).

من ربات الجمال والأدب سبيت مع بني قريظة سنة ست من الهجرة وقد تعصت بالإسلام وأبت إلا اليهودية فأمر بها رسول الله ﷺ فعزلت، ثم دخل رسول الله ﷺ عليها فقال لها: "إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله لنفسه"، فقالت: إني اختار الله ورسوله فلما أسلمت أعتقها وتزوجها وأصدقها اثنتي عشرة أوقية وأعرس بها في بيت المنذر بن قيس وكان يقسم لها كما يقسم لنسائه وضرب عليها الحجاب. وكان رسول الله ﷺ معجباً بها، وكانت لا تسأله إلا أعطاها ذلك.

ولما ضرب عليها الحجاب غارت عليه غيرة شديدة فطلقها تطليقة وهي في موضعها لم تبرح فشق عليها وأكثرت البكاء فدخل عليها رسول الله ﷺ وهي على تلك الحال فراجعها . طبقات . ابن سعد، وفي رواية أن رسول الله ﷺ عرض

عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت: يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف على وعليك.

وتوفيت سنة مرجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع، ودفنت في البقيع بـ"المدينة".

ويتبين لنا أن بين وقوعها في السبي ووفاتها مدة طويلة قاربت السنوات الأربع، مما يجعلنا نميل إلى ما رواه ابن إسحاق عن إسلامها وبقائها في ملك اليمين.

كان رسول الله ﷺ قد سباها فأبت إلا اليهودية فوجد رسول الله ﷺ في نفسه، فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال: هذا ثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام "ريحانة" فبشره وعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت: يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف على وعليك فتركها.. رضي الله عنها وغفر لنا ولها وألحقها بالصالحين من عباده وأكرم نزلها ومثواها.

زينب بنت جحش ملجأ اليتامى والأرامل

ولدت بمكة قبل البعثة بسبع عشرة سنة وكانت من المهاجرات الأول، وأسلمت قديماً، إنها أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر أمُّها أميمة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ تقدم عدد من القرشيين إلى السيدة زينب فأرسلت أختها (حمنة) إلى رسول الله ﷺ تستشيره، فقال الرسول: "أين هي ممن يعلّمها كتاب ربّها وسنّة نبيها؟" قالت حمنة: "ومن هو يا رسول الله؟"، قال: زيد ابن حارثة فغضبت (حمنة)، وقالت: "يا رسول الله أتزوج ابنة عمّتك مولاك" وعادت إلى زينب فأخبرتها، فغضبت زينب وقالت أشد من قول أختها فأنزل الله تعالى قوله: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أنْ يكون لهم الخِيرة من أمرهم}.

فأرسلت زينب إلى الرسول ﷺ وقالت: "إني أستغفر الله وأطيع الله ورسوله، افعل يا رسول الله ما رأيت"، فزوّجها الرسول ﷺ زيداً، فكانت أزراً عليه وشكاها زيد إلى الرسول الكريم، فعاتبها الرسول ﷺ وقال لزيد: "أمسِكْ عليك زوجك واتّق الله"، فقال زيد: "أنا أطلقها"، وطلقها زيد رضي الله عنه، وبينما الرسول ﷺ عند السيدة عائشة، إذ أخذته غشيةٌ فسُرِّي عنه وهو يبتسم ويقول: "من يذهب إلى زينب يبشِّرُها؟".

وتلا قوله تعالى: { إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا } .

وعندما انقضت عِدّة زينب رضي الله عنها قال الرسول ﷺ لزيد بن حارثة: "اذهب فاذْكُرها علي"، فانطلق حتى أتاها وهي تخمّرُ عجينها، قال: "فلمّا رأيتها عظمَتْ في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، وأقول إن رسول الله ﷺ ذكرها فولّيتُها ظهري ونكصت على عقبي وقُلتُ: "يا زينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك"، قالت: "ما أنا بصانعةٍ شيئاً حتى يأمر ربي عز وجل"، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن"، وجاء الرسول ﷺ فدخل عليها، تقول السيدة زينب: "لمّا انقضتْ عِدّتي لم أعلم إلا ورسول الله ﷺ قد دخل على بيتي وأنا مكشوفة الشعر، فعلمت أنه أُمِرَ من السماء"، فقلت: يا رسول الله بلا خطبة ولا إشهاد؟ قال: "الله زوّجَ وجبريل الشاهد"، وتزوّجها الرسول"، وانتفى ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من أن الذي يتبني غيره يصير ابنه، وكانت وليمة العرس حافلة مشهودة، ذبح النبي شاة وأمر أنس بن مالك أن يدعوَ الناس إلى الوليمة، فترافدوا أفواجاً، يأكل كل فوج ويخرج ثم يدخل فوجٌ آخرحتي أكلوا كلُّهم.

فخرها بالنبي

لقد كانت السيدة زينب تفتخر بزواجها من الرسول ﷺ وتقول: "يا رسول الله إني والله ما أنا كإحدى نسائِكَ، لست امرأة من نسائِك زوّجها أبوها أو أخوها أو أهلها، غيري زوّجِنيك الله من السماء"، وقد كانت رضي الله عنها تفتخر على نساء النبي ﷺ فتقول: "زوّجكُنّ أهاليكنّ، وزوّجني الله تعالى من فوق سبع سموات"، فلمّا سمعتها السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: "أنا التي نزل عذري من السماء"، فاعترفت لها زينب رضي الله عنها.

سميت السيدة زينب بأم المؤمنين ومفزع اليتامي وملجأ الأرامل، واكتسبت تلك المكانة بكثرة سخائها وعظيم جودها، وقال الرسول ﷺ لنسائه: "أسْرعكُنّ

لحاقاً بي أطوَلَكُنّ يداً"، تقول السيدة عائشة: "كنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمدُّ أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نَزَل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، ولم تكن بأطولنا، فعرفنا حينئذٍ أن النبي "إنما أراد طولَ اليدِ بالصدقة"، وكانت زينب امرأةً صناعَ اليد فكانت تَدْبَغُ وتخرزُ وتتصدق به في سبيل الله تعالي، وبعد وفاة الرسول "كان أعطاها اثني عشر ألفاً لم تأخذها إلا عاماً واحداً، فجعلت تقول: "اللهم لا يدركني هذا المالُ من قابل، فإنه فتنة"، ثم قسّمته في أهل رَحِمِها وفي أهل الحاجة، فبلغ عمر بن الخطاب فقال: "هذه امرأة يرادُ بها خير"، فوقف عليها وأرسل بالسلام، وقال: بلغني ما فرّقت، فأرسل إليها بألف درهم تستبقها فسلكت به ذلك المسلك.

توفيت السيدة زينب سنة عشرين من الهجرة وهي بنت خمسين، وصلّى عليها عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، ودُفنت في البقيع رضي الله عنها، وقالت السيدة عائشة: "رحِمَ الله زينب، لقد نالت في الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف، إن الله زوّجها، ونطق به القرآن، وإن رسول الله ﷺ قال لنا: (وأسْرَعَكُنّ بي لُحوقاً أطولكُنَّ باعاً)، فبشَّرها بسرعة لحوقها به، وهي زوجته في الجنة".



زينب بنت خزيمة أم المساكين

كانت تدعي أم المساكين في الجاهلية لكثرة إطعامها المساكين ورحمتها بهم، ونظرا لضيق المدة التي مكثتها كزوجة للنبي "قبل وفاتها لم يتناول المؤرخون سيرتها إلا بالقليل فقد قيل إنها كانت زوجة عبد الله بن جحش والذي استشهد في غزوة أحد وقيل إنها أرملة عبيدة بن الحارث الذي استشهد في غزوة بدر وهو من المهاجرين الأوائل وكانت من قبله زوجة لأخيه الطفيل، لكن المؤكد أنها كانت زوجة لأحد شهداء المهاجرين الأوائل، انتقلت إلى بيت النبوة لتصبح رابع أمهات المؤمنين بعد السيدة حفصة، إنها زينب بنت خزيمة بن الحارث، أمها هند بنت عوف بن زهير أكرم عجوز في الأرض أصهاراً، وأصهارها رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق وحمزة والعباس ابنا عبد المطلب وجعفر وعلي ابنا أبي طالب، أختها لأمها أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث.

لم يمض على دخول حفصة بنت عمر البيت المحمدي وقت طويل حين دخلته السيدة زينب فكانت بذلك رابع أمهات المؤمنين، كان دخوله بها بعد دخوله على حفصة ثم لم تلبث عنده شهرين أو ثلاثة، وقيل ثمانية أشهر حتى توفيت.

وقال ابن الكلبي: خطبها رسول الله ﷺ إلى نفسه، فجعلت أمرها إليه، فتزوجها في شهر رمضان سنة ثلاث للهجرة، فأقامت عنده ثمانية أشهر، واختلف فيمن تولى زواجها من النبي ﷺ، فقال ابن هشام في السيرة: زوَّجه إياها عمها قبيصة بن عمرو الهلالي، وأصدقها الرسول ﷺ أربعمائة درهم، واختلف أيضا في المدة التي أقامتها ببيت النبي ﷺ، ففي رواية كان دخوله بها بعد دخوله على

حفصة رضي الله عنها، ثم لم تلبث عنده شهرين أو ثلاثة وماتت، ورواية أخرى عن ابن الكلبي تقول: تزوجها الرسول الكريم في شهر رمضان سنة ثلاث للهجرة، فأقامت عنده ثمانية أشهر وماتت في ربيع الآخر سنة أربع للهجرة، وفي شذرات الذهب: إنها عاشت عند رسول الله ثلاثة أشهر ثم توفيت. و لم ترو عن رسول الله ﷺ شيئا.

أم المساكين

وقد أجمع المؤرخون على كرمها وعطفها الشديد على الفقراء، ولا يكاد اسمها رضي الله عنها يذكر في أي كتاب إلا مقرونا بلقبها (أم المساكين)، وكان يقال لها أم المساكين، لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم.

ورغم قصر المدة التي قضتها السيدة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها في بيت الرسول ﷺ فإنه قد أكرمها الله بكرامة خاصة لم تشاركها فيها أية زوجة من زوجات الرسول الكريم، فقد صلى عليها رسول الله ﷺ بنفسه فقد كانت صلاة الجنازة لم تشرع بعد عندما ماتت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وهما المرأتان اللتان ماتتا عند رسول الله ﷺ.

وقد توفيت في الثلاثين من عمرها وصلى عليها النبي عليه الصلاة والسلام، ودفنت بالبقيع في شهر ربيع الآخر وقيل في رمضان سنة أربع للهجرة، فكانت أول من دفن فيه من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وكان ذلك بعد زواجها بثمانية أشهر رضي الله عنها.

سودة بنت زمعة كثيرة الصدقات

رأت زواجها من رسول الله ﷺ في منامها وكانت من أوائل المسلمين مع زوجها السكران بن عمرو، وقد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها حفاظا على دينها وهربا من أعداء الإسلام إنها سودة بنت زمعة بن قيس العامرية القرشية أم المؤمنين وهي أول امرأة تزوجها النبي بعد خديجة رضي الله عنها، وأمها الشموس بنت قيس بن عمرو النجارية.

كانت سودة عند السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو فرأت في المنام كأن النبي "أقبل يمشي حتى وطئ على عنقها فأخبرت زوجها بذلك"، فقال: "وأبيك لإن صدقت رؤيتك لأموتن وليتزوجنك رسول الله ﷺ"، ثم رأت في المنام ليلة أخري أن قمرا انقض عليها من السماء وهي مضطجعة فأخبرت زوجها فقال: "وأبيك لإن صدقت رؤياك لم ألبث إلا يسيرا حتى أموت وتتزوجين من بعدي"، فلم يلبث إلا قليلا حتى مات وتزوجها رسول الله ﷺ.

قالت خولة بنت حكيم السلمية امرأة عثمان بن مظعون: أي رسول الله ألا تزوج قال: "ومن؟"، قالت: إن شئت بكرا وإن شئت ثيبا قال: "فمن البكر"، قلت: ابنة أحب خلق الله إليك: عائشة بنت أبي بكر، قال: "ومن الثيب"، قالت: سودة بنت زمعة بن قيس آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه قال: "اذهبي فاذكريهما علي"، فجاءت فدخلت بيت أبي بكر، ثم خرجتُ فدخلتُ على سودة فقالتُ: "يا سودة ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة"، قالت: وما ذاك قالت: "أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه"، قالت: "لوددت ادخلي على أبي فاذكري ذلك له"، قالت: "وهو شيخ كبير قد تخلف عن الحج فدخلت عليه فقلت: إن

محمد بن عبد الله أرسلني أخطب عليه سودة"، قال: "كفء كريم فماذا تقول صاحبتك"، قالت: تحب ذلك. قال: ادعيها فدعتها فقال: "إن محمد بن عبد الله أرسل يخطبك وهو كفء كريم أفتحبين أن أزوجك"، قالت: نعم قال: فادعيه لي، فدعته فجاء فتزوجها.

حبها للصدقة

قالت السيدة عائشة عنها: "اجتمع أزواج النبي" ذات يوم فقلنا يا رسول الله أينا أسرع لحاقا بك قال أطولكن يدا فأخذنا قصبة نذرعها فكانت سودة بنت زمعة بنت قيس أطولنا ذراعا قالت وتوفى رسول الله، فكانت سودة أسرعنا به لحاقا فعرفنا بعد ذلك أنما كان طول يدها الصدقة وكانت امرأة تحب الصدقة.

عندما قدم الرسول ﷺ بأسارى بدر وسودة بنت زمعة عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، وذلك قبل أن يضرب عليهم الحجاب قالت: "قدم بالأسارى فأتيت منزلي فإذا أنا بسهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه فلما رأيته ما ملكت نفسي أن قلت أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ألا متم كراما، قالت فوالله ما نبهني إلا قول رسول الله ﷺ من داخل البيت أي سودة أعلى الله وعلى رسوله قلت يا رسول الله والله إن ملكت نفسي، حيث رأيت أبا يزيد أن قلت ما قلت".

وعن ابن عباس قال ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت: "يا رسول الله ماتت الشاة"، فقال: "فلولا أخذتم مسكها"، فقالت: "نأخذ مسك شاة قد ماتت"، فقال لها رسول الله إنما قال الله عز وجل: { قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ

رَّحِيمٌ }، فإنكم لا تطعمونه إن تدبغوه فتنتفعوا به، فأرسلت إليها فسلخت مسكها فدبغته فأخذت منه قربة حتى تخرقت عندها.

وقالت السيدة عائشة: "خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفي على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين؟ قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر: كذا وكذا قالت: فأوحى الله إليه ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال: إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن".

وقالت خليسة مولاة حفصة في قصة حفصة وعائشة مع سودة بنت زمعة ومزحهما معها: "بأن قالا لها إن الدجال قد خرج فاختبأت في بيت كانوا يوقدون فيه واستضحكتا وجاء رسول الله فقال ما شأنكما فأخبرتاه بما كان من أمر سودة فذهب إليها فقالت يا رسول الله أخرج الدجال فقال لا وكأن قد خرج فخرجت وجعلت تنفض عنها بيض العنكبوت".

روايتها للحديث

روى البخاري بسنده عن سودة زوج النبي ﷺ إنها قالت: "ماتت لنا شاة فدبغنا مسكها ثم ما زلنا ننبذ فيه حتى صار شنا"، وعنها رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال إن أبي شيخ كبير لا يستطيع أن يحج قال: "أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه قبل منه قال نعم قال الله أرحم حج عن أبيك"، وعنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان فقلت: يبصر بعضنا بعضا؟ فقال: شغل الناس (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه)"، وعنها رضي الله عنها أنها نظرت

في ركوة فيها ماء فنهاها رسول الله عن ذلك وقال: "إني أخاف عليكم منه الشيطان".

توفيت السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها وأرضاها في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

صفية بنت حيي الشريفة الخزرجية

عرف عنها أنها ذات شخصية فاضلة، جميلة حليمة، ذات شرف رفيع نشأت في الخزرج، كانت في الجاهلية من ذوات الشرف ودانت باليهودية وهي من أهل المدينة، وكانت لها مكانة عزيزة عند أهلها، تزوجت مرتين قبل اعتناقها الإسلام، أول أزواجها يدعي سلام ابن مشكم كان فارس القوم وشاعرهم، ثم فارقته وتزوجت من كنانة ابن الربيع ابن أبي الحقيق النصري صاحب حصن القموص، أعز حصن عند اليهود الذي قتل يوم خيبر، إنها صفية بنت حيي بن أخطب وأمها تدعي برة بنت سموال، يتصل نسبها بالنبي هارون عليه السلام.

في شهر محرم من السنة السابعة للهجرة، استعد رسول الله عليه الصلاة والسلام لمحاربة اليهود، عندما أشرف عليها قال: "الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين"، واندلع القتال بين المسلمين واليهود ففتحت حصونها، وقتل رجالها، وسبيت نساؤها ومن بينهم صفية، عندما عاد بلال بالأسري مر بهم ببعض من قتلاهم، فصرخت ابنة عم صفية، وحثت بالتراب على وجهها، فتضايق رسول الله من فعلتها وأمر بإبعادها عنه وأمر صفية بأن تقف خلفه، وغطي عليها بثوبه حتى لا ترى القتلي فقيل إن الرسول اصطفاها لنفسه.

كعادة رسول الله لا يجبر أحداً على اعتناق الإسلام إلا أن يكون مقتنعاً بما أنزل الله من كتاب وسنة، فسألها الرسول ﷺ عن ذلك، وخيرها بين البقاء على دين اليهودية أو اعتناق الإسلام فإن اختارت اليهودية اعتقها، وإن أسلمت سيمسكها لنفسه، وكان اختيارها الإسلام الذي جاء عن رغبة صادقة في التوبة

وحباً لهدي محمداً ﷺ، عند قدومها من خيبر أقامت في منزل لحارثة بن النعمان وكانت منقبة، وقدمت النساء لرؤيتها لما سمعوا عن جمالها، وكانت من بين النساء عائشة –رضي الله عنها– ذكر بأنها وبعد خروجها سألها رسول الله عن صفية، فردت عائشة: رأيت يهودية، قال رسول الله: "لقد أسلمت وحسن إسلامها".

لما رجع المسلمون من خيبر وبلغوا الصهباء قامت أم سليم بنت ملحان بتمشيط صفية وتزينها وتعطيرها، حتى ظهرت عروساً تلفت الأنظار كانت تعمرها الفرحة، حتى أنها نسيت ما ألم بأهلها وأقيمت لها وليمة العرس، وكان مهرها خادمةً تدعى رزينة وعندما دخل الرسول عليه الصلاة والسلام على صفية، أخبرت رسول الله بأنها في ليلة زفافها بكنانة رأت في منامها قمراً يقع في حجرها فأخبرت زوجها بذلك، فقال غاضباً: لكأنك تمنين ملك الحجاز محمداً ولطمها على وجهها.

مع زوجات النبي

بلغها ذات يوم أن حفصة وعائشة قالا بأنها بنت يهودي فتضايقت من قولهن وأخبرت رسول الله فقال لها: قولي لهما: "إنك لابنة نبي وعمك لنبي وإنك لتحت نبي ففيم تفخر عليك"، وعندما حج النبي بنسائه في الطريق برك جملها فبكت فمسح الرسول عليه الصلاة والسلام دموعها وهي تزداد دموعاً وينهاها فلما جاء وقت الرواح، قال رسول الله لزينب بنت جحش: "يا زينب افقزي أختك جملاً"، وكانت من أكثرهن ظهراً قالت: أنا أقفز يهو ديتك؟ فغضب النبي ولم يكلمها حتى رجع، وفي أحد الأيام ذهبت صفية إلى رسول الله تتحدث

معه، وكان معتكفا في مسجده، فخرج ليوصلها إلى بيتها فلقيا رجلين من الأنصار، فعندما رأيا رسول الله رجعا فقال: "عاليا فإنها صفية".

اجتمعت زوجات النبي عنده وقت مرضه الذي توفي به، فقالت صفية أتمني أن يحل بي ما ألم بك فغمزتها زوجات النبي، فرد عليهن والله إنها لصادقة، وبعد وفاته "افتقدت الحماية والأمن، فظل الناس يعيرونها بأصلها، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جاءته جارية لصفية تخبره بأن صفية تحب السبت وتصل اليهود، فلما استخبر صفية عن ذلك، فأجابت قائلة: "فأما السبت لم أحبه بعد أن أبدلني الله به بيوم الجمعة، وأما اليهود فإني أصل رحمي"، وسألت الجارية عن سبب فعلتها فقالت: الشيطان فأعتقتها رضي الله عنها.

وفي عهد عثمان رضي الله عنه لم تألُ جهدا في ولائها له، الذي ما فتئت عائشة تحرض عليه حتى بلغ بها الأمر أن دلت قميص رسول الله من بيتها وصاحت في المسلمين: "أيها الناس، هذا قميص رسول الله لم يبل وقد أبلي عثمان سنته".. أي أن آثار الرسول ما زالت باقية، وأن سنته قد انتهكت وبليت بسبب عثمان.

لها في كتب الحديث عشرة أحاديث أخرج منها في الصحيحين حديث واحد متفق عليه روي عنها ابن أخيها ومولاها كنانة ويزيد بن معتب، وزين العابدين بن على بن الحسين، وإسحاق بن عبدالله بن الحارث، ومسلم بن صفوان، توفيت في المدينة، في عهد الخلفية معاوية، سنة (٥٠ هجرياً) ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين.

ميمونة بنت الحارث

عروس العمرة

عرفت بالعبادة واشتهرت بالزهد، جاهدت في سبيل اللَّه واشتركت في معركة تبوك تنقل إلى المجاهدين الماء والزاد وتسعف الجرحي وتداوي المرضى وتضمد جراحهم، وقد أصابها يومئذٍ سهم من سهام الكفار، لكن عناية اللَّه حفظتها، قالت عنها أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها: "إنها كانت من أتقانا للَّه وأوصلنا للرحم"، وكانت آخر من تزوج الرسول ﷺ.

إنها أم المؤمنين السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية، إحدى الأخوات الأربع اللائي سماهن رسول اللَّه "الأخوات المؤمنات"، وهن أم الفضل زوج العباس عم النبي وأسماء بنت عُمَيس زوج جعفر ابن أبي طالب، وسَلْمَى بنت عُميس زوج حمزة بن عبد المطلب عم النبي وميمونة بنت الحارث زوج النبي.

وكانت أمهن هند بنت عوف أكرم عجوز في الأرض أصهارًا، فقد تزوج النبي ابنتيها: زينب بنت خزيمة، وميمونة بنت الحارث.

وقد تزوجت السيدة ميمونة مرتين قبل زواجها بالنبي فقد تزوجها مسعود بن عمرو بن عمر الثقفي، فلما توفي تزوجها أبو رهم ابن عبد العزي ابن أبي قيس، ولما توفي تزوجها الرسول ﷺ، وكانت تعرف باسم (بَرَّة) فسماها النبي ميمونة، لأنه تزوجها في يوم مبارك يوم (عمرة القضاء)، وكان عمرها حينئذ ستاً وعشرين سنة.

وفي السنة السابعة للهجرة "وبعد صلح الحديبية" كانت عمرة القضاء، فقد ذهب النبي ومعه المسلمون لأداء العمرة في العام السادس فمنعهم المشركون فوقَّعوا صلحًا، على أن يعودوا لأداء العمرة في العام المقبل، وأن تكون مدة العمرة ثلاثة أيام، ولما جاءوا لأداء العمرة أخذت ميمونة تحدث شقيقتها أم الفضل رضي الله عنها عن أمنيتها في أن تكون زوجة للنبي وأمًّا للمؤمنين، فاستبشرت أم الفضل خيرًا وحدّثت زوجها العباس عم النبي بذلك، فذكرها العباسُ للنبي فوافق على زواجه منها، فكان ذلك إعزازًا وتقديرًا وشرفًا لها، وتعويضًا لها عن فقد عائلها فأصدقها النبي أربعمائة درهم، وكان قد بعث ابن عمه جعفرًا زوج أختها أسماء يخطبها، فلما جاءها الخاطب بالبشرى، وكانت على بعير قالت: "البعير وما عليه لرسول اللَّه"، وجعلت العباس وليها في أمر الزواج، وفي رواية أخرى أن ميمونة هي التي وهبت نفسها لرسول اللَّه فأنزل اللَّه تعالى قوله: {وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِي إِنْ أَرَادَ النَّبِي أَن يسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ}.

ولما قاربت مدة العمرة التي اتفقوا عليها طلب النبي من مشركي مكة أن يمهلوه وقتًا حتى يتم الزواج بميمونة، فقال لهم: "ما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم، وصنعنا لكم طعامًا فحضرتموه" فرفضوا، فخرج حتى اقترب من مكان يسمى سَرِف يبعد عن مكة بعشرة أميال، فأتمّ زواجه منها، وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة سبع من الهجرة.

عاشت ميمونة مع النبي تحيا بين جنبات القرآن، وروت رضي اللَّه عنها ثلاثة عشر حديثًا، ولما حانت منيتها في عام الحرة سنة ثلاث وستين، وكانت بمكة، وليس عندها أحد من بني أخيها، قالت: "أخرجوني من مكة فإني لا أموت

بها إن رسول اللَّه أَخْبَرَني أني لا أموت بمكة"، فحملوها حتى أتوا بها (سرف) عند الشجرة التي بني عندها رسول اللَّه فتوفيت هناك، وعمرها (٨١ سنة)، وحضر جنازتها ابن عباس رضي اللَّه عنهما، وعدد من الصحابة.



الفهرس